

الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والعقائد

اللّه

القمص تادرس يعقوب

الكنيسة الأرثوذكسية
كنيسة الإسكندرية

الكنيسة القبطية الأرثوذكسية والعقائد

١

الله

القمص تادرس يعقوب ملطى

بسم الآب والابن والروح القدس
الله الواحد آمين

+ صدر هذا الكتاب باللغة الإنجليزية فى أتوا بكندا عام ١٩٨٦ ، ووزع مجاناً .
+ اشترك فى ترجمته إلى العربية الدكتور جرجس كامل يوسف وتاسونى بوتامينا .



قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية (١١٧)

الله

« الله محبة » ١ يو ٤ : ٨ .

الله ليس فكرة نؤمن بها ، ولا هو بالكائن الأسمى البعيد عنا فى السموات ، المعتزِل عالمنا .

حقاً يليق بنا أن نخافه ونخدمه ونعبده ، لكنه ليس بالكائن الجامد ، إنما هو محب البشر . يهبهم معرفته الإلهية لكى ينعموا بحبه ويدركوا أبوته . يريد أن يكون قريباً جداً منهم ، ليجعلهم واحداً معه ؛ يسكن فى نفوسهم ، مانحاً إياهم القدرة على شركة مجده . بمعنى آخر ، يعلن الله عن ذاته للبشرية ، لا لكى ينشغلوا بمجادلات نظرية ، ولا لكى يفرض سلطانه عليهم ، وإنما لكى يجتذبهم إليه ، كما يجتذب الأب الطبيعى أولاده . إننا نجد فى أبينا السماوى نبع الحياة والخلود والمسرة الأبدية والمجد .

كتب القديس أثناسيوس فى رسائله الفصحية يقول : [... التأمل فى الله وكلمته (اللوغوس) الصادر عنه فيه إشباع للذين يسمعون ، فبالنسبة لهم يقوم مقام كل طعام . فالملائكة لا يقتاتون إلا برؤية وجه الآب والمخلص الذى فى السماء[1] .]

استعلان الله

خلق الله الإنسان على صورته كأكمل خليقة توجد على الأرض ؛ ولم يكن فى قصد الله أن يتركه فى الفردوس وحده ، إنما أراد أن يحتضنه كمحبوبه الخاص ، واهباً إياه الاتحاد معه . وقد اعتاد الله أن يدخل فى حوار مع آدم وحواء محبوبَيْه ، إذ قيل : « وسمعا صوت الرب الإله ماشياً فى الجنة » تك ٣ : ٨ . كما دخل الله فى حوار مع أب الآباء إبراهيم ليعلن له عن قصده الإلهى ، قائلاً : « هل أُخفِى عن إبراهيم ما أنا فاعله ؟! » تك ١٨ : ١٧ .

يعلن الله غير المُدرَك عن ذاته وعن طبيعته وأسراره وارادته لأحبائه الذين يشتاق أن يكون على اتصال بهم .

يتحدث الله مع البشرية خلال خليقته ، وكما يقول القديس بولس : « لأن أموره غير المنظورة تُرى منذ خَلْق العالم مُدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته ، حتى انهم بلا عذر » رو ١ : ٢٠ . ويقول داود النبى : « السموات تحدث بمجد الله ، والفلك يخبر بعمل يديه » مز ١٩ : ١ . وكتب **البابا أثناسيوس الرسولى** : [أعطى الله بكلمته (اللوغوس) المسكونة أن تكون ، وذلك لكى يتمكن أن يتعرف عليه البشر من خلال أعماله ، هذا الذى بطبيعته غير منظور ، لأن الفنان وإن لم يُرَ يُعرف من أعماله(٢) .]

إذ رفض البشر الاستماع إلى صوت الناموس الطبيعى الذى يعلن عن الله كخالق ومحب للبشر ، **قدم الله الشريعة المكتوبة خلال موسى . كما أرسل أنبياءه ليُعدّوا الطريق أمام « الكلمة » نفسه** ، ابن الله المتجسد ، الذى جاء وأعلن لنا عن الأسرار الإلهية . يقول الرسول بولس : « الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه » عب ١ : ١—٢ » .

كتب روبرت م. جرانت : [يتفق كل كُتّاب العهد الجديد على وجه الاطلاق فى أن الله يُعرف خلال إعلانه الذاتى عن نفسه ، هذا الإعلان الذاتى هو استعلان المسيح . ولمزيد من التأكيد فإن بولس فى رومية ١ : ١٩ الخ لم يتحدث صراحة عن هذا الإعلان ، لكنه أشار إلى مجد الله الذى لا يزول . ويمكننا مقارنة هذه الآيات بما جاء فى « ٢ كورنثوس ٤ : ٦ »: «لأن الله الذى قاأ أن يُشرق نور من ظلمة هو الذى أشرق فى قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله فى وجه يسوع المسيح » . فالخَلْق والفداء والاستعلان أمور متلاحمة معاً فى فكر بولس . ففى رومية ١ : ١٩ الخ لم يشر صراحة إلى المسيح ، لأن مثل هذه الأمور لم تكن موضوع جدله . نخلص من هذا أنه بالنسبة للاهوتى الكنيسة الأولى كل العبادات الخاصة بالكونيات (الخِلْقة) مرتبطة على وجه الإطلاق بالعقيدة الخاصة بالمسيح . فمعرفة الإنسان لله التى يستنبطها من الخليقة معرفة غير كافية ، وخارج إعلان الله الذاتى فى المسيح تقود إلى الوثنية . بمعنى آخر ، ليست هناك معرفة حقيقية عن الله خارج « الإعلان (الإلهى) » ، ولا معرفة عنه خارج

النعمة ، وخارج الإيمان . « لأنه إذ كان العالم فى حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة » ١ كورنثوس ١ : ٢١[٣] .]

كتب **العلامة أوريجانوس** : [كل الذين يؤمنون ويثقون أن « النعمة والحق بيسوع المسيح صارا » يو ١ : ١٧ ، والذين يعرفون المسيح أنه هو الحق ، كما يعلن عن نفسه : « أنا هو الحق » يو ١٤ : ٦ ، يحصلون على المعرفة التى تحث البشر على حياة صالحة وسعيدة ، ليس من نبع آخر (للمعرفة) غير كلمات المسيح وتعاليمه نفسها . لسنا نعنى بكلمات المسيح فقط تلك التى نطق بها عندما صار إنساناً والْتحف جسداً ، لأنه قبل ذلك أيضاً كان المسيح هو كلمة الله مُعلناً فى موسى والأنبياء[٤] .]

ويقول **القديس اكليمنضس الإسكندرى** :

[اقبلْ المسيح ، اقبل البصيرة ، اقبل نورك ، لكى تعرف الله والإنسان حسناً !

حلو هو الكلمة الذى يهبنا النور ، إنه « أثمن من الذهب والحجارة الكريمة ، وأشهى من العسل وقطر الشهاد » مز ١٩ : ١٠[٥] .]

[كل لقب (من ألقابه) لا يُعبّر بمفرده عنه ، لكنها كلها معاً تشير إلى قدرة القدير ...

يتبقى لك بعد ذلك أن تدرك غير المُدرَك ، وذلك بنعمته الإلهية ، بواسطة الكلمة وحده الصادر عنه[٦] .]

ويقول **العلامة أوريجانوس** : [مخلصنا هو صورة الله غير المنظور ، إذا قورن بالآب نفسه فهو الحق ؛ وإن قورن بنا نحن الذين أعلن لنا عن الآب فهو الصورة التى بها نأتى إلى معرفة الآب ، ذاك الذى لا يعرفه أحد كقول الابن ، إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له[٧] .]

الآن ، وقد قدم الله لنا من جانبه كل الإمكانيات لكى نعرفه ، بإعلانه عن ذاته ، صرنا نحن من جانبنا ملتزمين أن نتمتع بهذه المعرفة الإلهية ، لا بالدراسة والبحث وحدهما وإنما أيضاً بتنقية نفوسنا وقلوبنا ، أى بتنقية بصيرتنا الداخلية .

يقول البابا أثناسيوس الرسولى :

[لأجل هذه المعرفة والفهم الدقيق لسنا فى حاجة إلى شىء آخر سوى نفوسنا. ليس لأن الله فوق الكل، الطريق إليه هو خارج عنا وإنما هو فى داخلنا؛ وفى قدرتنا أن نجده من أنفسنا . وذلك كما فكر موسى عندما قال : « بل الكلمة (كلمة الإيمان) قريبة منك جداً ، فى فمك وفى قلبك ... » تث ٣٠ : ١٤ » . وهو نفس ما أعلنه المخلص مؤكداً إياه بقوله : « لأن ها ملكوت الله داخلكم » لو ١٧ : ٢١ . وإذ يكون لنا الإيمان وملكوت الله داخلنا يمكننا أن نعاين بسرعة وندرك مَلِك الكون وكلمة الآب المخلص[٨] .]

[عندما تتحرر (المعرفة) من كل رجاسات الخطية التى تغطيها ، وتحتفظ فقط بمثال الصورة (المسيح) فى نقاوتها ، تصير مضيئة تماماً ، وترى النفس صورة الآب أى الكلمة ، كما فى مرآة ...[٩].]

كتب جوزيف ماكليلاند : [فكما يُعرف « المثل بمثله » حسب رأى الإسكندريين ... (يقول القديس اكليمنضس[١٠]) إن الطريق إلى اللامُتغيّر هو عدم التغير نفسه .]

يهوه

أخبر الله موسى أنه ظهر لإبراهيم وإسحق ويعقوب بكونه القدير (خر ٦ : ٣) ؛ وكان موسى هو أول من عرف إسمه بكونه « يهوه » . فقد كان موسى أول قائد لشعب الله فى العهد القديم ، وكنائب عنهم أعلن له الله عن إسمه أنه « يهوه » ، أى « الذى يكون » . ماذا يعنى تعبير : « الذى يكون » ؟ يعنى إنه موجود ، يعمل لحساب شعبه المختار ، وذلك على خلاف الديانات اليونانية التى غالباً ما كانت تتطلع إلى الله بكونه الكائن المتعالى جداً عن شئون العالم . لم ينظروا إليه كإله فعّال فى شئون البشر ، إنما تركوا هذا لرتب متدرجة لآلهة فى مرتبة دنيا أو لمن هو أنصاف آلهة ، هؤلاء الذين كانت أنشطتهم فى عالمنا يسودها الفوضى والصراعات والأهواء الشخصية ، فلا يسلكون معاً بروح واحد فى اتجاه واحد .

لقد تحققت المسيحية من أن عمل الله غير متوقف ، يمتد ليشمل كل مراحل

حياة الإنسان فى كل زمان ومكان ... فالله دائم الحضرة ودائم العمل فى العالم ، لا يقتصر وجوده أو عمله على أمة واحدة معينة .

ثيؤس

يقول ج.ل. بريستيج[١٣] Pristige أن بعض آباء الكنيسة الأولى أمثال **اكليمنضس وديونسيوس الإسكندريين** قد تبعوا هيرودت فى ربطه بين ثيؤس (الله) وتثيمى (التدبير) .

يقول **القديس اكليمنضس** : [دُعِى الله (ثيؤس) ، لأنه وضع أساس التأسيس ( ) والتنظيم كمدبّر[١٥] .]

يربط نفس الآباء اللقب بفعل (يجرى) ، لأن الله هو مصدر الحركة والنشاط والتقدم فى كل شيء . وكما يقول أرسطو ، بأن الله هو « المُحرّك الأول » ، الذى حرك العالم وتركه . مقابل هذا نحن نؤمن بأن الله هو الحب ، الحب اللانهائى ؛ حركة محبته نابعة من داخله خلال علاقة الثالوث القدوس الأزلية . وقد إستُعلِن حب الله بخلقته العالم ، ولا تزال هذه المحبة فعّالة ، لن تبطل قط حتى مجيء المسيح الثانى . الله هو حركة حب أزلى ، تحتضن العالم كله ، والإنسان بوجه خاص . فهو يعتنى به فى هذه الحياة الزمنية حتى آخر شعرة فى رأسه (مت ١٠ : ٣٠) ، غاية ذلك أن تنعم البشرية بالمجد الأبدى . ويؤكد الآباء الإسكندريون بقوة أن الله وهو غير مُدرَك يعتنى بالإنسان خلال محبته الفريدة ، لأن ملكوت محبته السماوى يتأسس فى أعماق نفس الإنسان (لو ١٧ : ٢١) . قدرة الله هى تلك المحبة الدائمة الحركة .

يليق بنا ونحن نتحدث عن الله بكونه « الحب » ، ألاَّ نظن الحب عواطف بشرية ، إنما نُعبِّر عما هو إلهى وما هو غير مُدرك بلغة بشرية يمكننا إدراكها .

يقول **البابا أثناسيوس** : [الله فى وجوده الذاتى يحتضن كل شيء ، ولا يحويه شيء ؛ فى صلاحه وقوّته فهو فى الكل ، لكنه خارج الكل من جهة طبيعته اللائقة[١٦] .]

ويقول **القديس اكليمنضس الاسكندرى** عن الله : [فى جوهره بعيد جداً

(لأنه كيف يقترب من هو صادر عن أصل ممن هو غير صادر عن أصل ؟) ، لكنه ملتصق (بنا) جداً فى القوة التى بها يحتضن العالم كله[17] .]

الله الذى نؤمن به

بدأت المسيحية فى مصر فى الإسكندرية بحركة بسيطة لكنها عميقة للغاية . فقد صرخ أنيانوس الإسكافى « يا الله الواحد » عندما اخترق المخراز يده وهو يُصلح حذاء القديس مرقس . أبرأ القديس مرقس الرسول والإنجيلى يده باسم ربنا يسوع المسيح . بهذا شهد لله الواحد الذى آمن به أنيانوس دون أن يعرفه . وتحدث معه القديس مرقس عن الله الذى يشفى ليس فقط أجسادنا بل وطبيعتنا البشرية بيسوع المسيح ، كلمته المتجسد ، واعتنق أنيانوس المسيحية ، وسامه مارمرقس أول أسقف للإسكندرية .

يليق بنا أن نلاحظ هنا أمرين :

١ــ لم يهاجم القديس مرقس الديانة المصرية آنذاك ، لكنه على العكس استخدم كلمات أنيانوس : « يا الله الواحد » كنقطة بداية للكرازة بالحق الإنجيلى . مدخله هذا يشبه ما صنعه بولس الرسول فى أثينا : « فالذى تتقونه وأنتم تجهلونه هذا أنا أنادى به » أع ٧ : ٢٣ ، كما قال : « لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد كما قال بعض شعرائكم أيضاً لأننا أيضاً ذريته » أع ١٧ : ٢٨ .

وقد سار آباء الاسكندرية على نفس خطوات القديس مارمرقس ، فكرزوا بالحق الإنجيلى غير المتغير للمصريين ولأولئك المثقفين بالثقافة الهيلينية (اليونانية) بالإسكندرية ، مستخدمين نفس لغتهم وتعبيراتهم ، يتحدثون مع البسطاء بلغة البساطة ، ومع الفلاسفة بلغة الفلسفة .

٢ــ استخدم القديس مرقس حادثة شفاء جرح أنيانوس باسم المسيح يسوع كنقطة بداية ليكرز بالإنجيل ؛ هكذا لم يظهر الله كفكرة مجردة يؤمن بها ، إنما يُعلن عنه كمخلص يشفى البشرية كلها ويخلصها . هذا هو المبدأ الأساسى للاهوت السكندرى حتى يومنا هذا . إننا نعرف الله لا من خلال مناقشات نظرية ، وإنما من خلال أعماله الخلاصية ، حيث يهبنا المعرفة الجديدة والحياة الجديدة والخلود .

هكذا ، بذر بحق القديس مرقس فى تربيتنا اللآهوتية البذرة التى أنتجت ثماراً على مر العصور ، إحدى هذه الثمار العلاقة الوثيقة بين المعرفة اللاهوتية والخلاص . فالله يمنحنا المعرفة لكن ليس بمعزل عن الخلاص . يظهر هذا الفكر بوضوح فى لاهوتيات **القديس اكليمنضس السكندرى** ، الذى غالباً ما يقدم لنا يسوع المسيح كمعلم Paedagogus وقد كتب كتاباً بهذا الاسم ؛ وتحدث عن هذا المعلم الإلهى ، قائلاً : [الطبيب الواهب الشفاء الكلى للبشرية جمعاء[١٨]] . بمعنى آخر المعرفة الإلهية عند القديس اكليمنضس لا تنفصل عن خلاصنا ، وقد كتب بصراحة هكذا :

[إنها مشيئة الله أن نبلغ معرفة الله ، التى هى سبيلنا للخلود[١٩] .]

[صار الكلمة إنساناً لكى تتعلموا كيف يصير الإنسان إلهاً[٢٠] .]

بهذا نُدرِك لماذا لم يتحدث معنا كلمة الله المتجسد بألفاظ لاهوتية ، ولم يضع لنا صيغة إيمان ثالوثى ، إنما فى بساطة أعلن لنا عن الثالوث القدوس خلال أعمالهم الخلاصية . فيما يلى أمثلة توضح ذلك :

١ـــ يعلن ربنا يسوع عن الآب كمحب البشر الذى أرسل ابنه الوحيد ذبيحة لخلاص العالم كله (يو ٣ : ١٦) ، ويسألنا أن ندعوه : « أبانا » مت ٦ : ٩ ، حتى نثق فى محبته الأبوية ، مؤمنين أنه يعطينا أكثر مما نسأل .

٢ـــ عندما يعلن ربنا يسوع عن علاقته بالآب ، إنما يصنع هذا لنفعنا ، إذ يقول :

« لأن الآب يحب الابن ، وقد وضع كل شىء فى يده ، الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية » يو ٣ : ٣٥ـــ٣٦ .

« أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل » يو ٥ : ١٧ .

« الذى رآنى فقد رأى الآب » يو ١٤ : ١٩ .

٣ـــ يعلن يسوع المسيح عن لاهوته من خلال أعماله لحسابنا . إنه يظهر ذاته كخالق يحّول الماء خمراً فى عرس قانا الجليل (يو ٢ : ١ـــ١٢) ليهبنا الفرح الروحى . وبكونه الخالق يهب البصر للمولود أعمى (يو ٩ : ١ـــ١٢) ،

ويُسكِّن البحر والرياح (مر ٤ : ٣٥—٤١) ، ويطرد الشياطين والأرواح الشريرة (مر ١ : ٢٣) لكى يحيا أحباؤه فى سلام .

يعلن أيضاً عن نفسه كغافر الخطايا (مر ٩: ٢—٦؛ لو ٧: ٤٨)، ويقدم نفسه لنا بكونه «الحياة»، و «الحق»، و «القيامة»، و «الخبز النازل من السماء»، و «الطريق»، و «الباب»، و «الطبيب»، و العريس» الخ... لنجد فيه شبعاً لكل احتياجاتنا.

٤— يقدم لنا الروح القدس بكونه المعزى والمعين (يو ١٤: ٢٦)، الذى يسكن فينا (يو ١٤: ١٧)، والذى يعلمنا كل شىء (يو ١٤: ٢٦)، الذى يبكت العالم على خطية (يو ١٦: ١٨)، ويهب قوة الشهادة للمسيح (أع ١: ٨).

ســرّ الله

تنير المسيحية قلب الإنسان فيدرك الحق الإلهى ، وتسمو بنفسه لتشارك الحياة السماوية دون تجاهل لواقعه العملى على الأرض ، فهى « دين سرائرى » . لكن قد يسأل أحد :

+ ماذا تعنى كلمة « سِرّ » ؟ هل تعنى أن العقائد المسيحية ليست بسيطة ؟ أو أن العقل البشرى لا يقدر أن يتقبّلها ؟

+ هل من حاجة إلى الإيمان بسِرّ الثالوث القدوس ؟ ولماذا لا نؤمن بالله ونعبده فى بساطة دون بحث فى طبيعته ؟

١ـ « سِرّ » فى المسيحية لا يعنى أن يتقبّل المؤمن عقائد غامضة دون فهم ، أو أن هذه العقائد غير مقبولة عقلياً ؛ فعندما نتحدث عن الأسرار الإلهية الخاصة بجوهر الله وطبيعته وأعماله ، إنما نعنى أن الله يعلن لنا عن هذه الأمور بكوننا كائنات عاقلة ، واهباً إيانا الاستنارة الإلهية التى تكشف لنا عن المعرفة الإلهية التى هى بحق فائقة السمو . تبقى عقولنا عاجزة عن استيعاب هذه الأسرار طبيعياً دون تدخل نعمة الله وإعلانه . فالسِرّ لا يضاد العقل الإنسانى لكنه بدون معونة الله يبقى فائقاً بعيد الإدراك !

خلقنا الله كائنات عاقلة لا كائنات بهيمية . وهو يعلن لنا عن ذاته وعن أعماله لا ليلغى عقولنا ، وإنما ليسمو بها ، فتقبله طبيعتنا البشرية وتتعرف على أسراره .

« أُعطِى لكم أن تعرفوا سِرّ ملكوت الله » مر ٤ : ١١ . « إذ عرّفنا بسرّ مشيئته حسب مسرته التى قصدها فى نفسه » أف ١ : ٩ .

الله الذى يحب البشر ككائنات عاقلة تحدث مع موسى كما يكلم الرجل صاحبه (خر ٣٣ : ١١) ، وهو يشتاق أن يدخل فى حوار مع كل مؤمن .

أَقتبسُ هنا بعض عبارات **القديس اكليمنضس السكندرى** التى تعلن أن المسيحية تسمو بعقل الإنسان ولا تلغيه بالإيمان وبإعلان الله له ، إنما تزيده حكمة .

[ترتفع النفس إلى الله ، فتتدرب على الفلسفة الحقيقية ، وتسرع إلى قريبها فى الأعالى ، مُتخلِّية عن شهوات الجسد كما تترك التعب والخوف(1) .]

[الإنسان الخالد هو تسبحة رائعة لله ، يتأسس فى البر ، حيث تُنْقَش فيه أحكام الحق ! لأنه أين يمكن أن يُكتَب الحق إلا فى نفس حكيمة ؟!(2)]

ويوضح **القديس اكليمنضس** أن المعرفة البشرية لازمة لفهم الكتب المقدسة لكن ليس بدون معونة الله(3) .

٢ـــ يتهم البعض المسيحية بأنها تفتقر إلى البساطة ؛ بمعنى آخر يتهمونها بالتعقيد ، لأنها تؤمن بثلاثة أقانيم فى جوهر إلهى واحد . إنهم يتطلعون إلى هذه العقيدة كما لو كانت سرًّا يُمكن أن يُفهَم على أنه نوع من تعدد الآلهة ، لهذا يدعون أنه لا حاجة لقبولها . لكننا نلاحظ أن أغلب الديانات التى ترفض هذه العقيدة وفى نفس الوقت تؤمن بإله واحد مطلق ، هى نفسها تؤمن بأسرار إلهية كثيرة لا يستطيع العقل أن يستوعبها فى ذاته ، فتتحدث عن يدّى الله ووجهه وعرشه الخ ... بالرغم من إيمان الكل بأن الله لا جسم له ، لكنه روح بسيط ، ولا يمكن لعرش أن يحده . مع هذا يقبلون هذه التعبيرات كأسرار فى معتقداتهم ، وإن كان قبولها يُمكن إساءة فهمها . بنفس الفكر نقول إن إيماننا بالثالوث القدوس هو سرّ أعلنه الله نفسه للبشر ، ويمكن للعقل أن يدركه بالنعمة الإلهية ، ويتعرف على هذا الإيمان بكونه يؤكد وحدانية الله ويفسرها .

وحدانية الله والإيمان الثالوثى

إيماننا فى جوهره هو دعوة للتمتع واختبار الإله الواحد محب البشر . ويؤكد العهدان القديم والجديد الإيمان بهذا الإله الواحد ، لكن العهد القديم يعالج هذه المسألة بنظرة سلبية . كان هدفه أن يمنع المؤمنين من عبادة الأوثان ، الآلهة الكاذبة ، ومن ممارسات رجاسات الأمم المرتبطة بالعبادة الوثنية (٢ مل ٢١ : ٢ ، ٢ أى ٢٨ : ٣) . أما العهد الجديد فيشهد للإله الواحد بمنظار إيجابى ، لأنه لا يعلن عن وحدانية الله فحسب ، وإنما يعّمق إيماننا بالله الواحد بإبراز الإيمان الثالوثى ، الذى فى حقيقته لا يتعارض مع الوحدانية بل يؤكدها ، بإعلانه عن بعض الأسرار التى لله الواحد وعلاقته بالبشر ؛ وبدون الإيمان الثالوثى تظل الوحدانية غامضة .

وإننى أود أن أشرح فى الصفحات التالية لماذا نقبل الإيمان الثالوثى كعقيدة إنجيلية يعلنها الله لنا عن نفسه بكلمته المتجسد . وكيف تشرح هذه العقيدة المفهوم الإيجابى للوحدانية ، وكيف تحل الكثير من الصعوبات الناشئة عن الوحدانية المطلقة . ويُعتبَر الإيمان الثالوثى طريقاً أساسياً لخلاصنا ، ويمس حياتنا العملية ومستقبلنا الأبدى وعلاقتنا بالله . علاوة على هذا ، فإن هذا الإيمان لا يتعارض مع العقل الروحانى ، بل بالحرى يُشبعه ويرفعه للتأمل فى الأسرار الإلهية بفرح .

العقيدة الثالوثية والكتاب المقدس

العقيدة الثالوثية هى أولاً وقبل كل شيء عقيدة كتابية[٤] . فقد أُعلن عن الثالوث القدوس عند عماد ربنا يسوع (يو ١ : ٢٧ــ٣٣) ، كما تتم معموديتنا بإسم الأقانيم الثلاثة كقول القديس متى ٢٨ : ١٩ . وردت هذه العقيدة فى بركة القديس بولس فى « ٢ كورنثوس ١٣ : ١٤ » ؛ وذِكر الأقانيم الثلاثة أيضاً فى يو ١٤ــ١٦ ؛ أف ٢ : ١٨ ؛ ١ بطرس ١ : ٢١ــ٢٢ الخ ...

أعمال وألقاب ربنا يسوع المسيح والروح القدس تشهد عن ألوهيتهما كما سنرى فيما بعد. هذا ويُلاحَظ أنه بعدما ألقى العهد الجديد ضوءاً على طبيعة الله بدأ المسيحيون يرون فى العهد القديم أنه لم يُلْقِ ضوءاً شديداً على الله من جهة أقانيمه المثلثة. أحد أضواء العهد القديم الثلاثة تقديسات (قدوس، قدوس، قدوس) الواردة فى رؤيا إشعياء (٦: ٣)، وارتباطها بالعبارة القائلة: «من يذهب من أجلنا؟!» ٦: ٨. وأيضاً تُفهَم الأقانيم من صيغة الجمع باستخدام كلمة «الوهيم» (جمع) عن الله، وتكرارها حتى فى فقرة واحدة (تث ٦: ٤). كما إستُخدِمت فى بعض العبارات مثل: «قال الله نعمل الإنسان على صورتنا» تك ١: ٢٦، وأيضاً: «هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض» تك ١١: ٧.

حقيقة لم تكن عقيدة الثالوث واضحة فى العهد القديم ، لأن اليهود كانوا مُحاطين بأمم كثيرة تتعبد للأوثان ، وكثيراً ما كانوا يسقطون فى عبادة آلهة جيرانهم الزائفة . فبالتأكيد لو أن الله أعلن لهم عن هذه العقيدة صراحة لأخطأوا

فهمها وقبلوا تعدد الآلهة . هذا ومن جانب آخر لم تكن هناك حاجة لإعلان هذه العقيدة قبل تجسد كلمة الله وحلول الروح القدس على الكنيسة .

الصيغ الأولى الثالوثية

لم يُعلن ربنا يسوع المسيح أية صيغة (قانونية) ثالوثية ؛ إنما أعلن عن ألوهية الآب والابن والروح القدس فى وضوح وبصراحة خلال أعمالهم لأجل خلاصنا . غير أنه قبل صعوده إلى السموات أمر تلاميذه أن يعمدوا الناس باسم الآب والابن والروح القدس ، وأعطاهم صيغة للعماد فى بساطة دون ذِكر « أقانيم » ، فإن غايته تكمن فقط فى أن يهب المؤمنين نعمة الأقانيم بالمعمودية . وقد قبل الموعوظون أبوة الله (الآب) ، والعضوية فى جسد السيد المسيح ، وسُكنى الروح القدس فى إنسانهم الداخلى .

بالنسبة للمسيحى، هذه الصيغة الخاصة بالعماد، تعنى التحرر من عبادة المخلوقات، إذ يتم العماد فى لاهوت الثالوث القدوس الواحد، وليس فى تعدد آلهة(٥).

من أهم العبارات الخاصة بالعقيدة الثالوثية فى العصر الرسولى هى التى للقديس بولس : « نعمة ربنا يسوع المسيح ، ومحبة الله ، وشركة الروح القدس مع جميعكم » ٢ كو ١٣ : ١٤ . يشهد الرسول للثالوث القدوس لكى يعلن عن النعمة الإلهية والمحبة والشركة ، فيتقبّل المؤمنون الله ليس فقط كما « هو » بل كما « يعمل » بين مؤمنيه ليصيروا شركاء فى الطبيعة الإلهية (٢ بطرس ١ : ٣) .

واضح أن غاية نظام الكنيسة الأساسى فى العصر الرسولى هو الشهادة خلال عبادتها أن الله أرسل كلمته، يسوع المسيّا. لقد مات، وقام من الأموات فى اليوم الثالث، وصعد إلى السموات، وسيعود فى المجد لنقوم معه ونتمتع بحضرة أبيه. لقد أرسل أيضاً روحه القدوس فى كنيسته ليُعِدَّ ملكوته السماوى، ويهيئها للعرس الأبدى. بمعنى آخر، إيمان الكنيسة الرسولية إيمان ثالوثى صِرْف، له أثره على كرازتها وعبادتها وسلوكها، لكنه لم يُعلن فى صيغة لاهوتية بالمفهوم الحديث.

الله والحب الأبدى

عادة تدعو الأديان الله الخالق ، محب البشر ، صانع السلام ، صانع الخيرات ، الرحيم ، العالِم بكل شيء الخ ... لكن ، ربما يسأل أحد : هل هذه

الألقاب أزلية ؟ إن كان الله غير متغير فكيف كان خالقاً ، محباً ، صانع سلام ... منذ الأزل ، قبل خِلقة الكون ؟ هل كان الخَلْق ضرورياً حتى تُنسب إليه هذه الألقاب ؟

يجيب بعض المفكرين الذين لا يؤمنون بالثالوث القدوس عن هذه الأسئلة ، قائلين : إن لله هذه الألقاب والخصائص الأزلية « بالقوة » لا « بالفعل » ، أما بعد الخَلْق فظهرت بالفعل . هذا يعنى أن الخَلْق كان ضرورياً ليحقق الله به سماته الخاصة بالحب والسلام والرحمة الخ ... فتصير بالفعل (بالعمل) بعد أن كانت بالقوة فقط .

لكن بالحق قبولنا للإيمان الثالوثى إنه ثلاثة أقانيم فى جوهر إلهى واحد يجعل حّل هذا الإشكال سهلاً ؛ لأن كل هذه الخصائص إنما تتركز فى واحدة وهى « المحبة » . بالحب خلق الله الكائنات السماوية والأرضية . إنه رحوم وصانع سلام ورؤوف الخ ... لأنه يحب الإنسان . يقول الكتاب المقدس : « الله محبة » ١ يو ٤ : ٨ ، الحب السرمدى ! فإن الآب يحب الابن ، ولم يكن هناك زمان لم يحب فيه الآب الابن . فالحب كخاصية إلهية هو حب أزلى بالقوة كما بالفعل ، لأن « الحب » هو الله ذاته الذى يحب منذ الأزل وإلى الأبد ؛ لم يكن فى حاجة إلى خليقته لكى تكشف عن خصائصه . تحدث ربنا يسوع المسيح إلى أبيه الأزلى ، قائلاً : « **لأنك أحببتنى قبل إنشاء العالم** » يو ١٧ : ٢٤ .

أُعلِنت لنا العلاقة التى بين الثالوث القدوس الأزلية والمطلقة خلال معاملات الله معنا ، خاصة خلال عمله الخلاصى . قبْل تسليمه صلى ربنا يسوع المسيح للآب لحسابنا ، قائلاً : « كما أنت أيها الآب فىّ وأنا فيك فيكونوا هم أيضاً واحداً فينا ... وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ، ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد ... وعرفتهم إسمك ، وسأعرّفهم ، ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به ، وأكون أنا فيهم » يو ١٧ : ٢١—٢٦ .

خارج الإيمان الثالوثى ، إن قلنا إن الله يحب منذ الأزل ننسب له الأنانية ، أى يحب نفسه ، حاشا لله ! هكذا بالنسبة للسلام ، فإننا نتساءل : **مع من كان الله فى سلام منذ الأزل** ؟ الخ ... وهكذا توجد أسئلة كثيرة لا إجابة لها إلا فى الإيمان بالثالوث القدوس فى جوهر إلهى واحد .

يوضح الأستاذ نيقوس أ. نيسيوتوس التثليث المسيحي كحركة حب سرمدية تضاد النظرة الفلسفية الجامدة لوحدانية الله قائلاً بأن التثليث المسيحي يقدم الله في حركة ديناميكية داخلية تضاد كل نوع من الأنانية solipsism (نظرية تقول بأنه لا وجود لشيء غير الأنا) . الثالوث القدوس : غير المولود (الآب) والمولود والمنبثق ، هو إله إبراهيم وإسحق ويعقوب الذى يقيم علاقة سببية بين الأقانيم الثلاثة ، علاقة حب داخلي ، أى علاقة بين الآب ولوغسه (الكلمة) وروحه ، خلال هذه العلاقة قدم الله وعداً وحققه ؛ لذا نرى الله حيّاً فعالاً فى التاريخ ، يحقق غاية نهائية للخَلْق . لذا يرتبط الحديث عن اللاهوت المسيانى (لاهوت اللوغوس) باللاهوت الخاص بالخَلْق ، لأن اللوغوس يجدد الخليقة ويحقق هدفها . بحلول الروح القدس فى يوم البنطقستى أمكننا فهم العلاقة القائمة بين اللاهوت المسيانى ولاهوت الخلق كلاهوت عملى نمارسه ونحياه . أمكننا أن ندرك الله ككائن ديناميكى يتفاعل فيه الأقانيم فى حركة حب حيث يوجد المُحِب والمحبوب . يقول نيسيوتوس أن جوهر الله بكونه الحب هو حركة متدفقة نحو آخر تؤكد ذاتها ، حركة علاقة متبادلة عميقة داخل الجوهر الإلهى .

خلص الأستاذ نيسيوتوس إلى أن التعليم الثالوثى يقوم على فهم كتابى لجوهر الله بكونه « الحب » ، فلا يكون الله واحداً منفرداً (μόνος) ولا منعزلاً (μονάς) إنما يوجد الآب مع الأقنومين الآخرين ولأجلهما فى جوهر واحد . يجب التمييز بين الواحد المنفرد μόνος والواحد εἷς . ففى نظره الأول هو وحدانية الأنانة الفلسفية غير المسيحية ، أما الثانى فهو الفهم المسيحى لله الواحد الثالوث الحىّ ، إنه توحيد فى اتجاه وحدانية الشركة فى ذات الجوهر . التعليم الثالوثى لا يتحدث عن الله فى وحدانية معتزلة مطلقة جامدة . ولا عن كائنات ثلاثة منفصلة . هو واحد فى جوهره ، له حركة سرمدية فى الداخل والخارج لإتحاد أقنومى [يمكن الرجوع إلى النص فى كتابنا باللغة الإنجليزية] .

الثالوث القدوس وبساطة الله

ربما يقول قائل : إنه بدون الإيمان بالثالوث القدوس تبرز مشكلة كيف يمكننا أن ننسب لله خصائص لم تظهر فاعليتها قبل الخَلْق ــــ خاصة المحبة والسلام ؟ لكننا إن آمنا بالثالوث القدوس وبالعلاقة الأزلية بين الأقانيم قد تظهر مشكلات أخرى جديدة مثل :

ـــ كيف يمكننا أن نقبل الإيمان الثالوثي بالرغم من أن الله بسيط ؟
ـــ كيف يكون لله ابن ؟
ـــ ألا يتعارض هذا الإيمان مع الوحدانية ؟

فى الواقع الإيمان الثالوثي لا يجحد بساطة الله بل على العكس إنكار هذا الإيمان يشوّه بساطة الله ، للأسباب التالية :

١ـــ تؤمن كثير من الأديان أن كلمة الله أزلية، لأن الله لم يكن دون كلمته حتى قبل وجود الزمن (يو ١ : ١)، بل وتعتقد بعض الأديان أنه حتى الكلمات والحروف التى لكلمة الله أزلية أيضاً. بدون الإيمان بالثالوث القدوس فى جوهر إلهى واحد، تكون أزلية كلمات الله أو أقواله تعنى أن الله لم يكن بسيطاً، إذ يكون متحداً مع كلماته أزلياً. لكن بحسب إيماننا، كلمة الله ليس «خارج» الله، إنما هى ذات كلمته الأزلى المولود منه كولادة النور من النور، كائن معه فى ذات الجوهر، أى أنه واحد مع الآب فى ذات جوهره الإلهى (ousia).

يؤمن كثير من غير المسيحيين أن كلمة الله أزلية معه ، وأنها أُعلِنت للأنبياء كعلامة عن محبة الله للبشر ، وأن هذه الكلمة لا تتعارض مع بساطة الله ، أما نحن فنقول بإن هذا الكلمة « اللوغوس » ليس خارج الله بل هو واحد معه أزلياً . فالله ليس كالإنسان بل كائن أزلى ، ومن ثمة كلمته (اللوغوس) كائن سرمدى مع الآب كشعاع النور .

+ كلمة الله واحد لا يتغير ، كما هو مكتوب : « كلمة الله ثابت إلى الأبد » مز ١١٩ : ٨٩[٦] .

القديس أثناسيوس الرسولى

٢ـــ فى الحقيقة لا يتعارض الإيمان الثالوثي مع بساطة الله ، لأننا لا نؤمن بثلاثة جواهر إلهية بل بجوهر إلهى واحد . ولكى ندرك هذا السّر الإلهى يمكننا القول بإن الجوهر الإلهى موجود حقاً منذ الأزل ، هذا الوجود « الكينونية » هو وجود عقلانى أزلى ، أى له « عقل » أو « حكمة » أو « لوغوس » (كلمة) ، مولود من كينونته ، ليس خارجاً عنه وليس له جوهر إلهى آخر . لهذا عندما ندعو « الكائن » الإلهى « الآب » ، والكلمة « الابن » نؤكد أن الابن هو كلمة الله ،

حتى لا يسيىء أحد اللقبين كما لو كان للآب والابن جوهرين منفصلين ، ولئلا يظنوا بأننا نعتقد بإلهين ؛ فإننا نؤمن بإله واحد . بساطة الله لا تعنى وجود الله دون كلمته أو عقله أو حكمته ، حاشاً أن يوجد الله غير عاقل !

بالنسبة لأثيناغوراس[٧] ، مدير مدرسة الإسكندرية ، الله الأزلى « له عقل logikos ، اللوغوس كائن فيه أزلياً ، لذلك فالابن بكونه اللوغوس لم يأتِ إلى الوجود » بل هو أزلى .

هذا الكيان الإلهى ، أو « الآب » حىّ أزلياً ، له « حياته » منبثقة منه وليست خارجاً عنه . تتميز « الكينونة » عن « الحياة » لكنهما ليسا منفصلين ، وليس لهما جوهران إلهيان ، لأن « الحياة » خاصة بالكائن ذاته .

+ من الضرورى الإيمان بالكائن العاقل الحىّ ، جوهر واحد بسيط أزلياً ، لأن الثلاثة غير منفصلين ، ولم يُوجد أحدهم قبل الآخرين . إنهم كالنار التى لها لهيب ونور وحرارة فى ذات الوقت .

هكذا نفهم أن الوحدانية غير متجزئة إلى ثالوث ، بالعكس يجتمع الثالوث دون فقدان للوحدانية[٨] .

القديس ديونسيوس الإسكندرى

٣ــ الله فريد فى كل شيء ، حتى عندما يتحدث عنه الكتاب المقدس بكونه « الله الواحد » ؛ فإن هذا لا يعنى خضوعه لقواعد حسابية ، إذ هو ليس بمحدود . بمعنى آخر ، يلزمنا أن نفهم لفظ « واحد » هنا ليس رقماً من بين الأرقام ، إنما يعنى « وحدة » لا يُنطق بها . لا يمكن أن تُختبر « الوحدانية » أو تُفهم على أنها « ترقيم » ، لأن هذا يجعل الله كائناً جامداً يخضع تحت العدد . لهذا السبب يقول **أثيناغوراس** إن الله واحد ، لكنه ليس كفرد بشرى مخلوق وقابل للموت ، مركب وقابل للإنقسام (إلى أجزاء) ؛ فإن الله غير مولود ولا متغير ولا قابل للتجزئة ، فهو لا يتكون من أجزاء . ويقول **القديس اكليمنضس** : [الله واحد ، يتعدى الواحد ، وفوق الوحدانية ذاتها[١٠] .]

٤ــ نُسأل عادة : كيف يمكن أن يلد الله إبناً ؟ نجيب على هذا السؤال بسؤال آخر : « ألا يقدر الله أن يلد ابناً ؟ فإننا لا نقدر أن نقبل فكرة أن الله

كائن جامد غير قادر على العطاء . فكل جوهر فعّال لابد أن يلد شيئاً ، فالنار تُولّد ضوءاً وتعطى حرارة . والعنصر المُشع يعطى طاقة نووية ، والعقل البشرى يلد أفكاراً حكيمة . هكذا لا يمكن أن يكون الله كائناً جامداً ، فإن الابن مولود منه منذ الأزل ، وهو النور المولود من النور . **حقاً إن النور الذى لا يلد نوراً هو ظلام !**

+ كُتب أن يسوع المسيح هو « بهاء مجده ورسم جوهره ... » عب ١ : ٣ ، « صورة الله غير المنظور » كو ١ : ١٥ ، كما أن الكلمة هى صورة العقل غير المنظور .

لكن بهاء النور أزلى ، (فالابن) ذاته بالتأكيد أزلى ؛ لأنه كما أن النور موجود دائما ، فواضح أن البهاء أيضاً يوجد معه على الدوام . فبوجود البهاء يُفهم وجود النور ، وبالتالى لا يوجد نور لا يعطى نوراً ... من ثم فالبهاء يشرق قدامه منذ الأزل ، ومولود منه على الدوام ، يسطع فى حضرته ، إذ هو الحكمة ، القائل : « كنت عنده ... كل يوم لذاته فرحه دائماً قدامه » أم ٨ : ٣٠ . فالآب إذن أزلى ، والابن كذلك أزلى ، لأنه نور من نور[١٢] .

القديس ديونسيوس السكندرى

+ لو كان جوهر الله غير مثمر فى ذاته بل هو عقيم — كما يَدّعون — فيكون كنور لا ينير ، وكنبع جاف ؛ أفلا يخجلون عندما يتحدثون عن قوته وطاقته الخالقة بينما ينكرون ما هو بالطبيعة ...[١٣] ؟

البابا أثناسيوس الرسولى

+ لله أيضا كلمته ... ليس خارجاً عنه بل من ذاته ...

إن كان (لله) قوة الإرادة وفعّال ، فإرادته فعّالة ، وقادرة على خلق الأشياء التى ستوجد ؛ وكلمته فعّال وعامل ، هذا الكلمة بالتأكيد يجب أن يكون هو إرادة الآب الحية ، والطاقة الجوهرية ، والكلمة الحقيقية الذى فيه يتأسس كل شيء ويُدبِّر حسناً ...[١٤] .

البابا أثناسيوس الرسولى

+ ماذا نظن فى النور الأبدى سوى الله الآب ...؟ ألم يكن بهاؤه (عب ١ : ٣) حاضراً معه ؟ يستحيل تصور نور دون بهاء . إن كان هذا حقاً فإنه لم يكن يوجد زمن فيه الابن ليس ابناً ...

العلامة أوريجانوس

٥ـــ تكشف ولادة الابن الأزلية عن طبيعة الله الكائن المحب ، الذى فى حبه اللانهائى يلد الابن ، مقدماً له ذات جوهره الإلهى بكونه واحداً معه . إنه حب فريد ، إن « الكائن » يهب ذاته ، ذات جوهره . هذا الحب اللانهائى قد إستُعلِن لنا نحن أيضاً ولكن بما يناسبنا ، لهذا السبب يدعو **القديس اكليمنضس** الله : [الآب وخالق الكون كله] .

٦ـــ يُدْعى الأقنوم الثانى « الابن » ، تأكيداً لوحدانية الجوهر مع الآب ؛ ولئلا يُفهم أنه منفصل عن الآب ، كما لو كانا جوهرين وإلهين ، دُعى « كلمته » و « حكمته » . بهذا ندرك بنوته بمفهوم غير بشرى . يقول **القديس أثناسيوس** : [كما قلنا قبلاً نعود فنكرر هنا أنه يلزم عدم مقارنة الولادة الإلهية بتلك الطبيعية لدى البشر ، وعدم اعتبار الابن جزءاً من الله ، كما لا تتضمن الولادة أى نوع من العواطف مهما كانت ؛ فالله ليس إنساناً . بالنسبة للبشر فانهم يلدون ما هو متغير ... اما بالنسبة لله فالأمر غير هذا ، لأن الله لا يتكون من أجزاء ، ولا يتغير ؛ فالابن لا يجعله يتجزأ . هذا ثابت فى الكتاب المقدس وواضح ومُعلَن فيه . فإن كلمة الله هو ابن ، والابن هو كلمة الله وحكمته . الكلمة (والحكمة) ليس مخلوقاً ولا هو جزء ممن هو كلمته ، وليس نسلاً يمكن بدوره أن يتناسل . يوحّد الكتاب المقدس اللقبين معاً ، فيتحدث عن « الابن » ليعلن عن الميلاد الطبيعى الحقيقى الكامن فى جوهره ، ومن ناحية أخرى لئلا يظن أحد أن هذه البنوة تشابه التناسل البشرى ، بينما يشير إلى جوهره يدعوه أيضاً الكلمة والحكمة والبهاء ليعلمنا أن هذا الميلاد غير قابل للتغيير ، أبدى ، لائق بالله[١٦]] .

يليق بنا ألاَّ نتطلع إلى الله بمنظار مادى ، فإنه ليس كائناً بشرياً أو مخلوقاً . عند سماع لقبَىْ « الآب » و « الابن » لا يعنى هذا أن الله تزوج وأنجب إلهاً آخر ، إذ لا وجود للجنس فى جوهر الله . يلد الآب الابن كما تلد الشمس

أشعتها ، أو كما يُولد العقل من نفس الانسان ، والبهاء من النور ... هذه الأمثلة وغيرها قاصرة عن التعبير عما هو إلهى .

٧ـــ وحدة الثالوث القدوس فريدة ، ليست كإمتزاج المواد والسوائل ، ولا كوحدة نفس الإنسان بجسده ، ولا كإتحاد لاهوت المسيح بناسوته ، لأن للأقانيم الثلاثة جوهراً إلهياً واحداً واضحاً . كل أقنوم يملأ الأقنومين الآخرين وهو مُحتوى فيهما لكنه متمايز عنهما . يقول **القديس أثناسيوس** :

[كيف يمكن للواحد أن يكون مُحتوياً فى الآخر ، والآخر فيه ؟... « أنا والآب واحد » يو ١٠ : ٣٠ ، ٣٨ . ويضيف : لكى تعرفوا : « إنى أنا فى الآب والآب فىّ » يو ١٤ : ١٠ . علاوة على هذا يقول : « من رآنى فقد رأى الآب » يو ١٤ : ٩ . المعنى واحد فى هذه العبارات الثلاث . لأن من يعرف أن الآب والابن هما واحد يدرك أيضا أن الابن فى الآب والآب فى الابن ، لأن لاهوت الابن هو ذات لاهوت الآب فى الابن ... ملء لاهوت الآب حالّ فى كيان الابن ، والابن هو الله الكامل . لاهوت الابن ونمطه ما هو إلا لاهوت الآب ونمطه . هذا ما قاله : « أنا فى الآب » . وهكذا « الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه » ٢ كو ٥ : ١٩ . لأن خاصية جوهر الآب هى للابن الذى فيه تصالحت الخليقة مع الله[١٧] .]

[الثالوث القدوس المبارك غير قابل للتجزئة وهو واحد فى ذاته . فإذا ما ذكرنا الآب نعنى ضمنياً الابن الكلمة ، كما نعنى أيضاً الروح القدس الذى فى الابن . وإذا ذكرنا الابن فإن الآب فى الابن ، والروح القدس ليس خارج الكلمة ، لأنه توجد نعمة واحدة تتحقق من الآب بالابن فى الروح القدس[١٨] .]

٨ـــ أما بخصوص وحدة الثالوث القدوس فى المشيئة الإلهية يقول ج.ل. بريستيج[١٨] G.L. Prestige :

« يُلاحِظ أوريجانوس[١٩] أن مشيئة الله قائمة فى مشيئة الابن ، وأن مشيئة الابن لا تنحرف قط عن مشيئة الآب . لا توجد مشيئتان بل مشيئة واحدة ، تتحقق هذه المشيئة الواحدة بكلمات ربنا القائل : « أنا والآب واحد » . ويكرر **العلامة أوريجانوس**[٢٠] القول بأن الآب والابن « متمايزان » pragmata موضوعياً ، لكنهما واحد فى الاتفاق والانسجام وتحقيق القصد . يتبع **أثناسيوس** أوريجانوس فى

تأكيد مشيئة واحدة تصدر عن الآب قائمة فى الابن بحيث يُرى الابن فى الآب ، والآب فى الابن[٢٢] . ويقول أيضاً : [كما أن الله واحد فى المشيئة فهو واحد فى العمل أو « الطاقة » . يرجع هذا التعليم إلى أثناسيوس ، حيث يمثل جانباً من براهينه على لاهوت الروح القدس . هكذا يعرض هنا الفكر بإسهاب[٢٣] ، قائلاً إن الآب هو نور ، والابن هو بهاء هذا النور ، والروح القدس الذى هو الوكالة الذى به تنال البشرية استنارتها يلزم أن يكون متمايزاً فى الابن . فعندما نستنير فإن المسيح نفسه الذى فى (الروح) هو ينيرنا ، إذ يقول القديس يوحنا : « المسيح هو النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان . بالمثل الآب هو النبع ، والابن يُدعى النهر الذى يفيض من هذا النبع ، ويقول الكتاب المقدس أيضاً إننا نستقى من الروح . بارتوائنا من الروح نستقى المسيح نفسه . مرة أخرى المسيح هو الابن الحقيقى ، لكننا بالروح نصير أبناء وننال روح التبنى . من هذا يستنتج (أثناسيوس) أنه يوجد ثالوث كامل قدوس ، يُعبَّر عنه بالآب والابن والروح القدس ، لا يحوى شيئاً غريباً صادراً عن منبع خارجى . بطبيعته يحوى ذاته بذاته ، دون تجزئة ، طاقته واحدة ، إذ يعمل الآب فى ثبات بالكلمة فى الروح القدس . على هذا فوحدة الثالوث القدوس محفوظة ، لهذا يُكرَز بإله واحد فى الكنيسة ، هذا الذى هو فوق الكل وبالكل وفى الكل . فوق الكل هو الآب الأصل والمنبع ، وبالكل بالكلمة ، وفى الكل بالروح القدس[٢٥] .]

يدافع القديس ديديموس الإسكندرى عن مشيئة الثالوث القدوس الواحد[٢٦] .

يؤكد القديس كيرلس[٢٧] وحدة عمل الثالوث القدوس؛ فالآب يعمل بالابن فى الروح القدس؛ كذلك يعمل الابن بكونه قوة الآب، لأن كيانه (الأقنومى) هو من الآب وفى الآب، والروح القدس يعمل لأنه روح الآب والابن.

الإيمان الثالوثى وحياتنا اليومية

لا نستطيع أن نفصل الإيمان عن حياتنا اليومية ؛ إذ للإيمان دور أساسى فى عبادتنا وعلى مفاهيمها واشتياقاتنا وفى سلوكنا . ونود هنا أن نذكر بعض الأمثلة للكشف عن أثر الإيمان الثالوثى على حياتنا .

١ــ يجب أن نميز بين الوحدانية التى تقوم على الإيمان الثالوثى والوحدانية

المطلقة التى قامت فى مواجهة تعدد الآلهة . فالإيمان بتعدد الآلهة تأسس فى الغالب على الصراع بين هذه الآلهة ، مما كان له أثره على حياة الإنسان الداخلية ، حيث يجد الإنسان فى الصراع نموذجاً لحياته ؛ فيمارسه الإنسان ليس فقط ضد الآخرين وإنما حتى ضد نفسه . وكما سبق فقلت إن الوحدانية كانت لازمة لفهم العهد القديم حسناً لمنع الناس من السقوط فى تعدد الآلهة . لكن إن فهمنا الوحدانية خارج الإيمان الثالوثى نظن فى الله كائناً جامداً هائلاً ومخيفاً ، ذا سمات مطلقة ، يخلق هذا الإيمان نوعاً من « الفردية » و « الإنعزالية » ، إذ يتطلع المؤمن إلى الله كمثال له ، فيراه الوحيد الذى لا يُدنَى منه ، كمن هو معتزل فى سمواته ، لا تقوم فيه أية حركة . أما الإيمان بالوحدانية خلال سرّ التثليث فيقدم نموذجاً إلهياً للمؤمنين عن « وحدة الحب » . فيحثنا على ممارسة الحب على أثر خطوات الثالوث القدوس وخلال عمله فينا .

٢ــ فى هذا السرّ نتعرف على « الأبوة » و « البنوة » فى معانيهما اللانهائية ، فالآب يلد الابن كما يولد النور من النور ، مقدماً له ذات جوهره . هذه العلاقة الفريدة لا يمكن أن توجد خارج الله ؛ أقصد أن للآب والابن جوهر واحد بسيط . خلال هذه العلاقة نتمتع بالتبنى لله ، إذ نقبل الآب أبانا باتحادنا معه فى ابنه الوحيد . خلال هذا السرّ لا تُحصر علاقتنا بالله فى دائرة ضيقة كعبيد مع سيدهم ، إنما يقبلنا أولاداً له (رو ٨ : ١٥ــ٢٣ ؛ أف ١ : ٥) .

خلال هذه العلاقة الجديدة نتمتع بحركة حب إلهى لا تتوقف ، مُترجّين لا أن ننال مباهج ومنافع من الله فى هذا العالم الحاضر أو الدهر الآتى ، بل نقتنى الله نفسه ، نرث أحضانه كمسكن أبدى لنا . بمعنى آخر يحوّل الإيمان الثالوثى علاقتنا بالله من علاقة منفعة ذاتية إلى شركة حب متبادل .

٣ــ يهبنا الإيمان الثالوثى فهما متسعاً للكمال . إذ يتساءل البعض : كيف يمكن أن يكون الآب كاملاً فى سماته وهو لا ينفصل عن الابن والروح القدس (أى يشاركانه سماته) ؟ ونفس الأمر بالنسبة للإبن والروح القدس . نجيب على هذا التساؤل بأن الكمال الحقيقى لا يُستعلن خلال الاكتفاء الذاتى والانعزالى وإنما خلال حركة الحب الأزلية فى الله والعلاقات المتبادلة اللانهائية .

يبلغ الانسان (والجبلة البشرية) الكمال لا بتمجيد الانسان ذاته ولا باكتفائه

بذاته ... وإنما خلال الوحدة مع الغير القائمة على الحب . الإنسان الكامل ليس هو من يغذى الذات ego وينميها من أجل إقتناء كل مجد باطل ونفع لحسابه ، بل هو ذاك الذى يحب الغير ويقبل حبهم له ...

٤ـ للإيمان الثالوثى أثره على كل الحياة البشرية ، أذكر على سبيل المثال :

(أ) فى العهد القديم لم يكن المؤمنون قادرين على قبول الإيمان الثالوثى الذى يؤكد الوحدانية الحقة . كان لهذا النقص أثره على عبادتهم ، إذ تطلعوا إلى الله ككائن لا يُدنى منه ، يعبدونه خشية أن يغضب عليهم . أما فى العهد الجديد إذ قَبِل المؤمنون الإيمان الثالوثى فقد تعرفوا على الله الذى يعلن حبه باحتضانه البشرية واجتذابهم إلى الحضن الأبوى لينعموا بأسراره ويشاركونه أمجاده . لم يَعُد البشر مجرد آلات تخدم الله بطريقة آلية ، إنما هم أبناء محبوبون يتمتعون بالأسرار الإلهية .

(ب) يستأصل الإيمان الثالوثى كل جذور « الانانية egoism » ؛ فإننا إذ نرفع صلواتنا يجتذبنا الإيمان إلى الثالوث القدوس ، الحب السرمدى ، فنصلى من أجل خلاص كل البشرية بقلب متسع منفتح !

(جـ) للإيمان الثالوثى أثره حتى على حياتنا الاجتماعية . فإذا اخترنا الزواج نترجى فى الأسرة أن تكون أيقونة المحبة الثالوثية . كل عضو يجد مسرته فى مسرة الغير ، ويعمل كعضو فى الجسد لأجل بنيان الأسرة كلها . بهذا المنظار ماذا تكون الأسرة سوى وحدة حب حقيقى ، فيها يشتاق كل عضو أن يعطى لا أن يأخذ .

من جانب آخر إن إخترنا الحياة الديرية نقدم قلباً مفتوحاً نحو الكنيسة كلها بل ونحو العالم أجمع ، هذا ما نعلنه خلال سجداتنا (مطانياتنا) المستمرة وصلواتنا الدائمة من أجل كل بشر !

الثالوث القدوس والفلسفة

يقول Prof. M. Agiorghoussis : [كانت الفلسفة الأفلاطونية والفلسفة الأفلاطونية الحديثة هما النظامين الفلسفيين اللذين استخدمهما الهراطقة (الأريوسيون ومقاوموا الروح Pneumatomachs فى محاربة الإيمان المسيحى والتعليم الخاص بالثالوث القدوس . فكان أريوس ـــ على سبيل المثال ـــ ساقطاً تحت

تأثير الأفلاطونية والأفلاطونية الحديثة عندما رفض ألوهية ابن الله ومساواته لله الآب فى الجوهر . بحسب الفلسفة الأفلاطونية ، الولادة تعنى إنتقاصاً أو تغييراً فى الجوهر ، فلا يقدر الابن أن يكون من ذات جوهر الآب . وبحسب أفلوطين الكيان الحقيقى يختلف فى الجوهر عن العقل الصادر منه ؛ على هذا تثليث أفلوطين هو الثالوث الذى دعا إليه آريوس وأتباعه ضد تعاليم الكنيسة . فيرى أونوميوس الأريوسى أن جوهر الابن يختلف عن الآب، بكون الأول مولوداً وأما الآب فغير مولود . ويرى الأريوسيون المتشددون — ومن بينهم مقاوموا الروح Pneumatomachs — أنه مادام الابن خليقة منفصلة ، يختلف فى الجوهر عن الآب ، فإن الروح يختلف أيضاً عن جوهر الآب (ربما وعن جوهر الابن) وبهذا يعتبر الروح مخلوقاً .

لقد وقف الآباء ، خاصة آباء مجمع نيقية ، ضد ما قام به الهراطقة من تفلسف الدين ، خاصة فى معالجته لتعليم الثالوث القدوس . فإنه لم يهدف الآباء بأية حال نحو إدخال الفلسفة إلى المسيحية لأنها دين إعلان (إلهى) . لقد إستخدموا الفلسفة فقط عند الضرورة للرد على الهراطقة أو عندما كانت عقيدة الكنيسة فى حاجة إلى لغة مفهومة تناسب المؤمنين الذين كانوا يخاطبونهم آنذاك بلغة ثقافتهم .

أما المنهج الفلسفى ، خاصة الأرسطوطاليسى ، فقد انتهجه الدارسون فى العصور الوسطى ؛ استخدمه توما الاكوينى ، إذ كان الآباء يلجأون إلى الفلسفة عند الضرورة القصوى فقط باعتبارها مجرد « خادمة علم اللاهوت » .

استخدم آباء المجمع المسكونى الأول اللفظ ''homoousion'' (من ذات الجوهر) وأقره المجمع المسكونى الثانى ، هذا اللفظ مشتق من فلسفة أرسطو « الجوهر الثانى » ... وقد أدان الأريوسيون آباء المجمع الأول لاستخدامهم عبارات غير كتابية . أما آباء المجمع الثانى فقد تجنبوا استخدام عبارات غير كتابية فى صياغة التعليم الخاص بالروح القدس فى البند الثامن من قانون الإيمان .

كان أثناسيوس من بين هؤلاء الآباء العظام فى نضالهم ضد الهراطقة الذين استخدموا الفلسفة اليونانية من أجل الضرورة ، وهو أول من استخدم تعبير

homoousios (مساوٍ فى الجوهر وواحد معه consubstantial) ، كذلك باسيليوس والكبادوكيان : غريغوريوس اللاهوتى وغريغوريوس النيسى .]

يرى الأستاذ نيكوس نيسيوليس Prof. Nikos A. Nissiolis أن التعليم الخاص بالثالوث القدوس كتابى بحت ، وليس كما يظن البعض مزيج من الفلسفة اليونانية القديمة والإيمان المسيحى ، إذ يقول :

[يمكننا بسهولة تنفيد هذا النقد ، لأن هذا المزج لم يحدث إطلاقاً فى المسيحية الأولى لأنه كان للفلسفة اليونانية وللاهوت المسيحى كيانان عظيمان ؛ لكل منهما أصالته الخاصة به ، واستقلالية هويته التامة . ومجالات الفكر وطرق التفكير ، بحيث لا يمكن المزج بينهما لخلق نظام جديد شبه لاهوتى أو شبه فلسفى .

على وجه الخصوص فى اللاهوت الثالوثى الذى تطور فى القرنين الرابع والخامس لتفسير الإيمان المسيحى فى مواجهة الهرطقات الخاصة بشخص المسيح christological والخاصة بالروح القدس pneumatological ، يمكن للإنسان بسهولة أن يبرهن على أن الإيمان الثالوثى هو التعليم الفريد والوحيد للإيمان بالله فى تاريخ الفكر الدينى فى العالم الذى يطابق الإعلان الكتابى الواحد والفريد بكل أمانة .

كل المصطلحات المستخدمة فى اللاهوت المسيحى المبكر لتوضيح الله كثالوث هى مصطلحات كتابية . الجوهر « οὐσία » ، والطبيعة فيزيس (φύσισ) ، شخص « بروسوبون πρόσωπον) ، اقنوم (هيبوستاسيس ὑπόστασις) مقتبسة من الكتاب المقدس . فكمثال قيل عن المسيح « الذى هو رسم جوهره (hypostasis) « ὁ ὢν χαρακτήρ τῆς ὑποστάσεως αὐτοῦ »

حتى أكثر الألفاظ إثارة للجدل استخدمها الهراطقة حول طبيعة المسيح ، أى « هوموسيون homoousion » ، تعبّر عن إشارة مباشرة وصريحة فى الكتاب المقدس لتعميق الانتماء المشترك لله الآب مع اللوغوس المتجسد بكونه ابنه الأزلى (يو ١٧ : ٢١ ، ٢٣) . على أى الأحوال هذا الاصطلاح لم يقتبس عن الفلسفة اليونانية ، بل هو اصطلاح لاهوتى أصيل فى « اللاهوت الخاص بالمسيح

(خريستولوجي) » يُقدّم كياناً عميقاً لجوهر الآب والابن ، جاء فى كل العهد الجديد ، تقريباً ، فى كل أسفاره ، كشهادة واضحة لذلك[٢٨] .]

الثالوث القدوس والتشبيهات

الإيمان بالثالوث القدوس كعقيدة أساسية فى كل البناء المسيحى هو خبرة « حياة أو موت » . إنه سرٌ غير مدرك ، يمس حياتنا هنا كما فى السماء . وقد بذل آباء الكنيسة كل الجهد لتوضيح هذا السرّ ، لأن اللغة البشرية قاصرة عن أن تعبّر عما هو إلهى ؛ ولم تقدم الطبيعة كلها مثالاً لوجود جوهر واحد فى ثلاثة أقانيم متمايزة .

لكى ندرك هذا السرّ يمكننا القول بأن الله هو الكائن الوحيد « الواجب الوجود بذاته » ، هذا الوجود الذاتى الذى يُدعَى الجوهر الإلهى والذى يتميز بمجموعتين من الخصائص والسمات : خصائص ذاتية تخص كيانه وخصائص تخص علاقته بالخليقة . الخصائص الذاتية ثلاث : الكينونة ولوغوسه (كلمته أو حكمته) وحياته . هذه الخصائص ليست شيئاً إضافياً إلى جوهره ، كما لو كانت صادرة عن الخارج ، إنما هى منذ الأزل لا تنفصل عن جوهره الإلهى نفسه . إذ لم يوجد زمن كان فيه الجوهر الإلهى دون « الكينونة » وإلا ما كان موجوداً . حاشاً لله ! ولم يوجد قط الجوهر الإلهى دون الكلمة أو الحكمة ، وأيضاً هو حىّ أزلياً . يوجد تمايز بين « الكينونة » و « الكلمة » و « الحياة » ، لكن دون إنفصال ، إذ يوجد جوهر إلهى واحد ، وطبيعة واحدة . الآب هو الجوهر الإلهى مع خاصية الكينونة ، والابن هو ذات الجوهر مع خاصية الكلمة (اللوغوس) ، والروح القدس مع الحياة . ولما كان الحكمة أو اللوغوس مولوداً من « الكينونة » ، لذلك دُعِى الأقنومان الأول والثانى : « الآب » و « الابن » . ودعى الأقنوم الثالث الروح القدس بكونه الحياة الإلهية .

يجدر بنا ملاحظة أن الأقانيم الثلاثة غير منفصلة ، لهم جوهر واحد ، وأعمالهم غير منفصلة .

أمثلة من الخليقة

كما سبق فرأينا أن الخليقة لم تقدم لنا مثلاً لجوهر واحد فى ثلاث أقانيم متمايزة ،

لذلك عندما نقدم بعض الأمثلة لتوضيح هذا السرّ الإلهى نفترض مُسبَقاً أن جميعها لا تفسره إلا جزئياً ، أو من جوانب معينة دون الأخرى ، حتى يمكن لعقلنا قبوله . ثانياً للتعرف على هذا السرّ نحن فى حاجة إلى النعمة الإلهية التى تهبنا الشركة مع الله ، أى الشركة مع الآب فى ابنه بالروح القدس .

١ــ خُلِق الإنسان على صورة الله (تك ١ : ٢٧ ؛ ٥ : ٢) ، نفسه موجودة (كائنة) ، عاقلة ، وحية . فمع أن النفس واحدة إلا أن كيانها متمايز عن عقلها وأيضاً عن حياتها ، ولا ينفصل الثلاثة عن بعضهم البعض .

٢ــ وعد الله أن يحفظ كنيسته ، قائلاً : « وأنا أكون لها سور نار من حولها وأكون مجداً فى وسطها (زك ٢ : ٥) . للنار ثلاث خواص ذاتية تشبه الأقانيم : لهيب ونور مُتولّد من اللهيب ، وحرارة منبعثة عنه ، لكنها ليست أقانيم ، لأن الواحدة لا تملأ الأخريين .

من خلال النور يمكننا أن نتعرف على النار ، وهكذا أيضاً من خلال الحرارة .

٣ــ للشمس كيان ككوكب ، وهي تولّد أشعة وحرارة ، ومع هذا فهى شمس واحدة . ندعو الكوكب نفسه شمساً ، وأيضا أشعته تُدعى هكذا ، وكذلك الحرارة .

٤ــ التفاحة : يُشبَّه الله بالتفاحة ، إذ قيل : « كالتفاح بين شجر الوعر كذلك حبيبى بين البنين » نش ٢ : ٣ . للتفاحة ثلاث خواص : مادتها التى نأكلها وطعمها ورائحتها ، ويمكننا التعرف على التفاحة من طعمها أو رائحتها .

الآب

يقول Prof. Maximos Agiorghoussis :

[إنه ليس « قوة فائقة للطبيعة » عمياء ، ولا هو نوع من « إله الفلاسفة » : « المحرك الأول الذى يحرك كل شيء ويبقى هو بلا حركة » (ارسطو) ؛ أو « المثال الفائق (الخيالى) » (أفلاطون) ؛ وإنما هو إله الإعلان الشخصى ، خالق العالم ومدبره ، خاصة بنى البشر . هو أب أولاده وبناته الحنون ، الذى يدخل معهم فى عهد ، ليكون لهم إلهاً وهم يكونون له شعباً مختاراً .]

بمعنى آخر حينما نتحدث عن الآب الذى يرتبط مع الابن (وأيضاً مع الروح القدس) بعلاقة أزلية ، نقصد أن الله فى حركة أزلية ، حتى فى داخله ، يمكن أن توصف بأنها حركة حب متبادلة . فالأبوة تعنى أن حركة الله الداخلية هى حركة حب وليست فقط حركة قدرة وسلطان .

بالرغم من أن لاهوتيِ الإسكندرية الأوائل قد تحدثوا عن عدم تغير الله وتنزُّهه عن العواطف البشرية(٢٩) ، إلا أنهم ركزوا على أبوته الحقة من خلال الحب الذى لا يُعبَّر عنه بلغة بشرية ، كما لو كانت له مشاعر وعواطف بشرية . يقول **العلامة أوريجانوس** : [علاوة على هذا ، ألا يختبر الآب إله الكون كله المشاعر والأحاسيس إذ هو طويل الأناة وكثير الرحمة ؟! أما تعلمون أنه إذ يوزع المواهب الإنسانية هو خبير بالعواطف الإنسانية ؟! لأن « الرب إلهك يحملك فى طرقك كما يحمل الإنسان ابنه » تث ١ : ٣١ ...(٣٠)]

اللوغوس

١ــ نترنَّم بإحدى التسابيح القبطية كاعداد لسرّ الأفخارستيا ، قائلين :

« بهاء إسمك القدوس ،
فى أفواه قديسيك ،
ياربى يسوع المسيح ،
مخلصى الصالح ...
إسمك حلو ومبارك ،
فى أفواه قديسيك ...
أيها الإسم المملوء مجداً !
أيها الإسم المملوء بركة ! » [**أبصالية السبت**] .

دُعِى ابن الله المتجسد « يسوعاً » ، وقد تُسمى هكذا قبل ولادته (مت ١ : ٢١) . اجتذب هذا الإسم الإنجيليين فكرروه أكثر من ستمائة مرة فى الأناجيل . وأحب المسيحيون الذين من أصل يهودى أو يونانى هذا الإسم المقدس ، فبالنسبة لليهود يعنى « يهوه يخلص » ، وبالنسبة لليونانيين يعنى « الشافى » .

قيل عن يشوع (يسوع) بن سيراخ : « كان يشوع (يسوع) بن نون

رجل بأس فى الحروب خليفة موسى فى النبوات . كان كاسمه عظيماً فى خلاص مختارى (الله) » يشوع بن سيراخ ٤٦ : ١ ، أما يسوع فبالنسبة للمسيحيين الذين من أصل يهودى فهو مخلص العالم كله من الخطية .

يقدم **القديس اكليمنضس الإسكندرى** ربنا إنه [يسوع الشافى أجسادنا ونفوسنا[٣١] .] إنه الطبيب الإلهى القادر وحده أن يخلصنا من نتائج الخطية .

ربما يسأل البعض : هل من ضرورة لكلمة الله نفسه أن يتجسد ليفدينا ويشفى طبيعتنا البشرية ؟

(أ) بالعصيان اختار الإنسان الموت (تك ٢ : ١٧) عوض الحياة . وقد علّم الله آدم طقس الذبيحة الحيوانية كعلامة عن الحاجة إلى « سفك دم » لخلاصه (عب ١٠ : ٢٢) . وكان هذا رمزاً لذبيحة ربنا يسوع الفريدة .

يقدم القديس بولس مقارنة بين الذبائح الحيوانية فى العهد القديم وذبيحة المسيح ، فالحيوانات تُذبح لا إرادياً بواسطة الكاهن اليهودى ، أما ربنا يسوع المسيح فقدم دمه الثمين بإرادته من خلال حبه الإلهى ، كان هو الكاهن والذبيحة فى نفس الوقت (عب ٩ : ١٢ الخ) .

كانت الحيوانات يذبحها الكهنة الذين هم أنفسهم فى حاجة إلى تطهير وخلاص ؛ أما كاهننا (المسيح) فقدم دمه لأجلنا ولم يكن محتاجاً للخلاص لأنه بلا عيب .

الحيوانات عاجزة عن القيام بدور الوساطة بين الله والناس ، أما يسوع المسيح ابن الله فقد صار ابن الإنسان يقدر أن يقوم بهذا الدور .

كانت الذبائح الحيوانية عاجزة عن أن تخلص حياتنا الداخلية أو تطهرها ، لهذا كانت تتكرر يومياً ، أما ذبيحة ربنا فمقدَّمة مرة واحدة فقط من أجل خلاص العالم ، ولا يزال أثرها متجدداً حتى الآن . لا تزال الذبيحة عينها حاضرة عبْر العصور .

يقول **العلامة أوريجانوس** إن الذبائح الحيوانية كانت تِستهلك بأكلها أو حرقها ، أما ذبيحة ربنا فليست حية فحسب وإنما تهب حياة أيضاً للمشتركين فيها .

(ب) كان من الضرورى لخلاصنا أن يتجسد كلمة الله نفسه ليموت لحسابنا ، ليس فقط لأنه وحده قادر أن يفى العدل الإلهى بل وبكونه الخالق يقدر أن يجدد طبيعتنا البشرية . إنه الله القدير الذى يهبنا النصرة على الموت وعلى الأرواح الشريرة ؛ وهو السماوى القادر أن يرفعنا إلى سمواته لنرث المجد الأبدى كأبناء لله (رو ٨ : ١٥ ، ٢١ ؛ ٩ : ٤) ونصير على مثال الله . يقول **القديس أثناسيوس** :

[كلمة الله ... بتقديم جسده فداء عنا ، يفى بعدل دَيْننا بموته . فإنه إذ يوّحد البشرية كلها بجسد كأجسادهم يمكنه وهو ابن الله غير الفاسد أن يُلبس كل البشر عدم الفساد .

صار الكلمة جسداً ليقدم هذه الذبيحة ولكيما نحن إذ نشترك فى الروح نتأمله . صار الله إنسانا لكى نصير نحن آلهة[٣٢] .]

٢ــ عبارات قانون الإيمان النيقوى الأصلى التى وُضعت أصلاً لتفنيد الأريوسية هى [و (نؤمن) برب واحد يسوع المسيح ، ابن الله ، المولود من الآب ، الابن الوحيد ، أى من جوهر الآب من الله ، نور من نور ، إله حق من إله حق ، مولود غير مصنوع (مخلوق) ، من ذات الجوهر ومساوٍ له (homoousios) مع الآب] . وقد حدث جدل على العبارات الأخيرة ، خاصة "homoousion" التى تقرر أن المسيح هو من ذات جوهر الله بطريقة لا تترك مجالاً لِلَّبْس . المسيح إلهى . لأن طبيعته أو جوهره من نفس طبيعة وجوهر الآب[٣٣] .

٣ــ بخصوص طبيعةِ ربنا يسوع المسيح ، كلمة الله المتجسد ، أصر التقليد الإسكندرى على تأكيد وحدانية الرب ، مؤكداً الوحدة الحقيقية بين اللاهوت والناسوت دون انفصال ولا امتزاج[٣٤] .

الروح القدس

الروح القدس ليس قوة إلهية غير شخصية ، ولا هو مجرد حضرة إلهية أو عطية إلهية ، إنما نؤمن بشخصه الأقنوم الثالث . يدعوه ربنا « معزياً آخر » يو ١٤ : ١٦ . ويقدمه الكتاب المقدس بكونه « الخالق » أى ٤٤ : ٤ ، وهو الناطق فى

الأنبياء ، يعلن عن مشيئة الله ويهيىء البشرية لقبول ابن الله المتجسد . إنه واهب الحياة ومصدر التقديس . وقد أكد القديس بطرس ألوهيته (قارن أع ٥ : ٣ مع ٥ : ٤) .

عمل المسيح الخلاصى هو أساس عمل الروح القدس فى الكنيسة ، يهبنا الشركة مع الآب فى المسيح المصلوب . وفى نفس الوقت بدون الروح القدس : « ليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب » ١ كو ١٢ : ٣ ، وبدونه لا تقدر الكنيسة أن تنعم بحضرة المسيح كرأس لها . لذلك يقول الرب : « خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى » يو ١٦ : ٧ . لذلك يلزم أن يُفهم التاريخ الكنسى أنه عمل الروح القدس ، إذ وُلِدت الكنيسة كجسد المسيح فى يوم العنصرة ، ولا تزال تتغذى على الروح القدس الذى يقودها ويرشدها ويقدسها ويعينها فى العبادة والكرازة ، يُلهم جسد الكنيسة ويبنيه .

استخدم **البابا أثناسيوس** قول إشعياء (٦٣ : ٧—١٤) ليعلن أن [روح الله ليس ملاكاً ولا مخلوقاً بل من صميم اللاهوت[٣٥] .] ويرى **القديس ديديموس** أن هذا النص (إش ٦٣ : ٧—١٤) هو دليل على أن مؤمنى العهد القديم نالوا نعمة من [الروح غير المنفصل عن الآب والابن[٣٦] .] ويرى **القديس كيرلس**[٣٧] فى نفس النص دليلاً على هوية (جوهر) الروح القدس مع الآب[٣٨] .

استخدم آباء الكنيسة الإسكندريون ألقاب الروح القدس لإثبات لاهوته . هذا ويستخدمون أعماله لذات الهدف . يقول **القديس ديديموس** إن الذى يملأ كل المخلوقات يلزم أن يكون من جوهر يختلف عن كل الخلائق[٣٩] . ويقول **القديس أثناسيوس** : [لو كان الروح القدس مخلوقاً لا يمكن أن تكون لنا به شركة مع الله به ، لأننا بهذا نتحد مع خليقة غريبة عن الطبيعة الإلهية ... إن كان (الروح القدس) يجعل البشر إلهيين ، فإن طبيعته دون شك هى طبيعة الله[٤٠] .] ويقول **القديس كيرلس**[٤١] إن الروح القدس هو ذاك الذى يبرر الخطاة ويكمل المختارين ، يعمل ما هو من اختصاص الطبيعة الإلهية الفائقة المجد وحدها ؛ كما يقول إنه إن كان الروح الذى يجعلنا آلهة هو من طبيعة مختلفة عن طبيعة الله لفقدنا كل رجاء[٤٢] .

\+ \+ \+

الله

فى

كتابات الآباء الإسكندريين

كان اللاهوت الإسكندرى المبكر أولاً وقبل كل شيء كتابياً ؛ غايته شرح الحق الإنجيلى لكل أحد ، خاصة الذين تثقفوا بالثقافة الهيلينية (اليونانية) .

استخدم كل أب من آباء الإسكندريين ذات الخط اللاهوتى ، لكن كل حسب احتياجات عصره . على سبيل المثال **أثيناغوراس** الذى كرس حياته (قبل ايمانه بالمسيحية) لعدة سنوات لمهاجمة الإيمان المسيحى من الكتاب المقدس نفسه وعندما تحول إلى المسيحية شعر بالمسئولية للدفاع عن « الوحدانية » المسيحية من خلال الإيمان الثالوثى . كتب دفاعه إلى الإمبراطورين دفاعاً عن الإيمان ، داعياً إياهما للتمتع به . وكتب **القديس اكليمنضس** إلى الفلاسفة عن الله ، مُركّزاً على الابن بكونه المعلم الحقيقى الذى يهذب المؤمنين ويهبهم المعرفة الإلهية . أما **العلامة أوريجانوس** الذى انشغل بالتفسير الرمزى للكتاب المقدس فقد أوضح أن الله غير المُدرك يهب المؤمنين الحقيقيين معرفة الأسرار السماية الإلهية . ودافع **القديس أثناسيوس** عن الايمان الثالوثى الأرثوذكسى ضد الأريوسيين ، كما دافع **القديس كيرلس** عن الإيمان الكنسى ضد النسطورية ، مؤكداً وحدانية يسوع المسيح بكونه ابن الله المتجسد . وأوضح **القديس ديسقورس** نفس الإيمان الخاص بوحدة اللاهوت بالناسوت دون انفصال ولا تشويش . وكتب آباء الكنيسة القبطية فى العصور الوسطى ، خاصة فى القرن الثالث عشر ، دفاعاً عن الإيمان المسيحى مُفنّدين الإتهام بتعدد الآلهة ، مستخدمين ذات المنطق المناسب للبيئة . وكان الصفى بن العسّال من رواد ذلك العهد ، وقد اقتبس كثيرا من الكُتّاب واللاهوتيين المسيحيين فى منطقة الشرق الأوسط ذات أسلوبه الجدلى لتحقيق ذات الهدف .

١ــ أثيناغوراس

يوضح أثيناغوراس علاقة المسيح والروح القدس بالآب لتأكيد الوحدانية من

خلال وحدة الثالوث . أوضح تسمية الله (الآب) والابن والروح القدس[1] . فالابن هو عقل الآب وكلمته وحكمته ؛ والروح القدس هو ينبوع atto'ppidv الآب[2] ، يفيض منه وإليه كشعاع الشمس ونور النار .

يقول أيضا إن الله غير المبتدىء الأزلى وغير المنظور قد خلق العالم كله وزينه وأنه بالفعل يديره بكلمته ، الذى هو ابن الله . ابن الله ليس كأبناء البشر ، لأنه هو كلمته فى الفكر والعمل ، ومتحد معه ، لأنه فى الآب ، والآب فيه . يؤكد أيضاً وضع الروح القدس بكونه القوة الكائنة فى الخليقة ؛ فالله خلق كل شيء بكلمته ، ويحفظ كينونتها بالروح الذى منه[3] .

٢ــ القديس اكليمنضس الاسكندرى

(أ) يقول Kelly : [الله بالنسبة له[4] مُنزَّه تنزيهاً مطلقاً ، وهو غير مُدرك ، ولا موصوف ؛ إنه « الوحدة ، الذى يفوق الوحدة ، ويسمو فوق الوحدانية » ، ومع هذا فهو يحتضن كل حقيقته[5] ...] . يقول القديس اكليمنضس : [ليس للاهوت شكل ولا أسماء ؛ فإن كنا ننسب له أسماء يلزمنا ألا نفهمها فى معناها الضيق . عندما ندعو الله « الواحد » و « الصالح » و « العقل » و « الوجود » و « الآب » و « الله » و « الخالق » و « الرب » فإننا لا نعطى الإسم اللائق به . وإذ نعجز عن أن نعمل أكثر من هذا نستخدم التسميات المكرمة لكى تتمكن أفكارنا من وجود ما تستند عليه ولا تتوه بلا تحديد ... فالله لا يُدرَك بمعرفة بشرية قائمة على حقائق معروفة مُسبقاً ، إذ لا يوجد شيء يقدر أن يسبق الكائن الواجب الوجود بذاته . ما يتبقى إذن هو أنه يمكن فهم غير المدرك فقط بالنعمة الإلهية وبالكلمة الصادرة عنه[6] .]

(ب) الابن سرمدى، ميلاده من الآب بلا بداية، يقول القديس اكليمنضس: [ليس الآب بدون الابن، بل هو كائن معه؛ إنه آب الابن[7].] الابن واحد جوهرياً مع الآب، مادام الآب فيه وهو فى الآب[8].

(جـ) يقول كواستين إن فكرة اللوغوس هى مركز نظام اكليمنضس اللاهوتى وكل فكره الدينى . ويقول جوزيف ماكليلاند ان موضوع لاهوته هو « التعليم المسيحى paideia » ، فالمسيح هو المربى الحقيقى Paedagogus الذى يثقف المؤمنين ، واهباً إياهم المعرفة gnosis الحقة . يقول **القديس اكليمنضس** : [لا

يوجد إيمان بدون معرفة ، ولا معرفة بدون إيمان ... الابن هو المعلم الحقيقى[٩] .] . إنه يعلّم المؤمن بتدريبه نفسه his soul على اكتشاف الحق[١٠] . [المعلم يدرب الأبناء ... ونحن هم الأبناء ... فى اختصار يصنع الرب معنا ما نفعله نحن مع أطفالنا[١١] .]

يعلمنا هذا المعلم الإلهى عن الآب : [لكي نأتى إلى معرفة الآب . يلزمنا أن نؤمن بالابن ، لأن ابن الآب هو معلمنا ، إذ يأتى بنا الآب من الإيمان إلى المعرفة بواسطة الابن[١٢] .]

الابن هو معلمنا الإلهى لا يهبنا فقط نعمته للتمتع بالمعرفة الحقيقية ، وإنما يقدم أيضاً نفسه كمثال نتمثل به لنصير مثله[١٣] .

المعلم الإلهى ، فى حبه للمؤمن لا نهائياً ، يتخلل إلى كل حياته ، مهتماً حتى بأصغر أموره . [كما أن الشمس لا تنير السماء وحدها بل وتنير العالم كله أيضاً ؛ تشرق على البر والبحر ، ترسل أشعتها خلال النوافذ والشقوق الصغيرة إلى الأماكن الداخلية ؛ هكذا يتدفق الكلمة إلى كل موضع ، متطلعاً إلى دقائق الأعمال فى حياة الإنسان[١٤] .]

٣ـ العلامة أوريجانوس

يرى العلامة أوريجانوس أن تأسيس الكنيسة الروحية هو الهدف الحقيقى للاهوت ولإيماننا ولمعرفتنا بالله . يقول : [الله ليس موضوع فضول بشرى إنما هو كائن حرّ ذو سلطان ، يهب ذاته ليكون معروفاً لكائن مخلوق له تقديره لدى الله لتتكامل شخصيته ؛ ينتظر الله أن يرتبط معه بعلاقة حرة بكامل إرادته . يجمع هذا الإيمان البشرى من الشرق والغرب والشمال والجنوب فى معرفة الله[١٥] .]

(أ) الله عند العلامة أوريجانوس غير مادى ، منزّه ، غير مدرك ، ومع هذا فهو يعلن عن نفسه للبشر ، خاصة إن كانت عقولهم نقية ، إذ يقول : [يوجد تقارب بين العقل البشرى والله ، فالعقل ذاته هو صورة الله ، لذلك يمكن أن يكون له بعض الإدراك للطبيعة الإلهية ، خاصة كلما إزداد نقاءً وترفعاً عن الماديات[١٦] .]

(ب) بكل تأكيد لا يخضع الله للعواطف البشرية ، وفى نفس الوقت ليس

بالكائن الجامد ، إذ هو « الحب » الفريد ذاته . يعبر عن الحب باسلوب يناسب طبيعتنا البشرية حتى يمكننا أن نتعرف عليه ونقبله ، لذا نقرأ فى الكتاب المقدس إن الله يحزن لسقوطنا فى الخطية ، وأنه يكره الخطية ، ويفرح بتوبتنا . يقدم لنا العلامة أوريجانوس أمثلة عديدة لذلك من الكتاب المقدس ، ثم يخرج بالنتيجة التالية : [فى كل هذه النصوص التى يُذكر فيها أن الله يحزن أو يفرح أو يكره أو يُسر يلزمنا فهمها على أنها واردة فى الكتاب المقدس على سبيل المجاز وبطريقة تعبير بشرى . لأن الطبيعة الإلهية أسمى من كل أحاسيس عاطفية أو تغّير ، إنما تبقى أبدياً ثابتة غير مضطربة فى قمة تطويبها(١٧) .]

(جـ) كان أوريجانوس على دراية قوية بتعبير « التثليث (Trias) و « الأقنوم » .

(د) أُتهم أوريجانوس انه علّم بالتدرج أو التفاوت فى الرتب بين الأقانيم subordinationism ، بمعنى أن الابن خاضع للآب وأقل منه ، والروح القدس خاضع للابن وأقل منه . يقول كواستن : [أكد البعض تعليم أوريجانوس بالتدرج بين الأقانيم بينما أنكر البعض عليه هذا . لم يتردد القديس جيروم فى اتهامه بهذا بينما دافع عنه غريغوريوس الصانع العجائب والقديس أثناسيوس نازعين عنه كل شك . دافع عنه أيضا كتَّاب معاصرون مثل Ragnon و Prat(٢٠) .]

(هـ) يقول العلامة أوريجانوس إن الابن يولد من الآب لا بعملية إنقسام بل بذات الطريقة التى بها تولد الإرادة من العقل ؛ إذ يقول : [ابن الله الوحيد هو حكمته القائمة جوهرياً ... كيف يظن أحد أن الله الآب يمكن أن يوجد فى أى وقت دون ولادة الحكمة ؟... يليق بنا أن نؤمن أن الحكمة لا بداية لها ... **لقد دُعى « الكلمة » ، لأنه مفسر أسرار عقل الله** ... محظور علينا الظن الخاطىء بأن الآب قد ولد الابن الوحيد الجنس بذات الطريقة التى يلد بها إنسان إنساناً ، أو حيوان حيواناً ؛ فإنه يوجد فارق عظيم . واضح أن الأمر ليس هكذا ، إذ لا يوجد فى الوجود مثيل لله لا فى الإدراك ولا فى الخيال . لهذا لا يستطيع الفكر البشرى أن يدرك كيف يكون الله غير المولود أباً للابن الوحيد الجنس . إنه ميلاد سرمدى لا يتوقف ، شعاع يتولد من نور . فإنه لم يصر الابن خارجاً عنه ، بتبنى الروح ، إنما هو الابن بالطبيعة . هو وحده الابن بالطبيعة ، لذا دعى « الابن الوحيد ... » يجب الحذر حتى لا يسقط أحد فى تلك الخرافات السخيفة التى

يخترعها أولئك الذين يتصورون نوعاً من الأعضاء ''prolations'' ، أو أجزاءً فى الطبيعة الإلهية ، ويقسمون كيان جوهر الآب ... بالحرى (الولادة) هنا كحركة الإرادة الصادرة (المولودة) عن العقل دون بتر جزء منه أو إنفصال عنه أو تقسيمه ، هكذا بطريقة مشابهة يمكن التفكير فى ولادة الابن من الآب(٢١) .]

[يخبرنا يوحنا أن الله نور (١ يو ١ : ٥) ؛ ويدعو بولس الابن « بهاء » النور الأبدى (عب ١ : ٣) . وكما لا يمكن وجود نور دون بهاء ، كيف يمكن القول بإنه وُجد زمن لم يكن فيه الابن ؟! هذا يشبه القول بانه وُجد وقت لم يكن يُوجد فيه « الحق » و « الحكمة » و « الحياة » ... إننا نعتذر عن إستخدامنا لمثل تلك التعبيرات مثل : « وُجد زمن لم يكن فيه الابن »(٢٢) ...]

ويؤكد العلامة أوريجانوس أن الكلمة أو الحكمة قد وُلد بعيداً عن العواطف الجسدية ، وذلك كولادة الإرادة من العقل ، فإن كان قد دُعى « ابن محبته » كو ١ : ١٣ ، فلماذا لا نقول بالمثل ابن إرادته ؟(٢٣) .

(و) يؤكد العلامة أوريجانوس شخصية (أقنومية) الروح القدس . [الروح (الريح) تهب حيث تشاء » يو ٣ : ٨ . هذا يعنى أن الروح كائن جوهرى (له مشيئته) . إنه ليس كما يتخيل البعض نشاطاً (طاقة) لله دون أن يكون له وجود فردى (أقنومى) . فالرسول بعدما يعدد مواهب الروح القدس يكمل هكذا : « ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد ، قاسماً لكل واحد بمفرده ما يشاء » ١ كو ١٢ : ١١ . إن كان (الروح) « يشاء » و « يعمل » و « يقسم » لهذا فهو فى جوهر عامل وليس نشاطاً مجرداً(٢٤) .] إستخدم العلامة أوريجانوس كلمات سفر الأعمال ليؤكد ذات الفكرة : « لأنه قد **رأى** الروح القدس ونحن » أع ١٥ : ٢٨ ؛ والروح القدس **يقول** (أع ١٣ : ١٢ ؛ ٢١ : ١٠) .

(ز) يؤكد العلامة أوريجانوس ألوهية الروح القدس : [الروح نفسه فى الناموس وفى الانجيل ؛ إنه دائماً مع الآب والابن ، مثل الآب والابن كان ويكون وسيكون دائماً(٢٥) .]

يعلن العلامة أوريجانوس عن عمل الروح القدس فى حياتنا ، قائلاً : [أُعطيت نعمة الروح القدس للمخلوقات (البشرية) غير المقدسة بطبيعتها لتجعلهم قديسين بشركة الروح . بهذا ينالون الوجود من الله الآب ، والتعقل من الكلمة ، والقداسة من الروح القدس . مرة أخرى إذ يتقدسون بالروح القدس يمكنهم قبول المسيح ، لأنه هو « برّ الله » ١ كو ١ : ٣٠ . والذين حُسبوا أهلاً لبلوغ هذه المرحلة بتقديس الروح القدس يتقدمون لنوال موهبة الحكمة بقوة روح الله وعمله فيهم(٢٦) .]

٤ـــ ثيؤغنسطس

ثيؤغنسطس مدير مدرسة الاسكندرية فى النصف الثانى من القرن الثالث ، أعلن(٢٧) أن جوهر الابن لا يصدر عن عدم ، وإنما عن جوهر الآب ، كالبهاء الصادر عن النور ، والبخار الذى لا يتجانس مع الشمس ولا مع الماء ولا هو غريب عنهما ؛ هكذا جوهر الابن ليس مطابقاً للآب ولا هو مغاير له . هو فيض απορροια من جوهر الآب ، دون حدوث عملية تجزئة .

٥ـــ بيريوس

يبدو أنه تحدث عن الآب والابن كجوهرين أو طبيعتين ، من الواضح أنه استخدمهما ليعنى « الأقنوم » عند العلامة أوريجانوس .

٦ـــ القديس ديونسيوس الاسكندرى

فى دفاعه عن الإيمان الأرثوذكسى ضد السابليانية Sabellianism أكد بشدة الأقانيم الثلاثة . ظن سميه ديونسيوس الرومانى أن الكلمة اليونانية « أقنوم ὑπόστασις » تعادل فى اللاتينية substantia (جوهر) كما تعلم من ترتليان ، لتعنى حقيقة اللاهوت غير المنقسم الثابتة ، لهذا إتهم ديونسيوس الإسكندرى بأنه ينادى بثلاثة جواهر إلهية ، مقدماً ضده الاتهامات التالية(٢٩) :

(أ) انه صنع تقسيماً يبلغ حد الفصل بين الآب والابن (بكونه ينادى بثلاثة أقانيم أى ثلاثة جواهر إلهية) .

(ب) إنكار أزلية الابن (لأن له جوهر غير جوهر الآب) .

(جـ) تلقيب الآب بدون الابن ، والابن بدون الآب ، كما لو كانا ليسا غير قابلين للإنفصال فى ذات كيانهما .

(د) الفشل فى وصف الابن كمساوٍ فى الجوهر مع الآب وواحد معه ὁμοούσιος (مادام لكل منهما جوهره) .

(هـ) الاقرار بأن الابن كان مخلوقاً يختلف عن الآب فى الجوهرين Substances .

بعث البابا الاسكندرى رسالة لأخيه يوضح له أنه يؤمن بجوهر إلهى واحد . وفى القرن التالى دافع القديس أثناسيوس عن سلفه فى رسالته De sentia Dionysii (عن رأى ديونسيوس) ، وإننى اقتبس هنا بعض عبارات للقديس ديونسيوس اقتبسها القديس أثناسيوس فى رسالته :

[المسيح سرمدى ، بكونه الكلمة والحكمة والقوة ؛ فإنه لا يجوز افتراض أن الله لم تكن له مثل هذه وبعد ذلك ولد إبناً ...]

[الابن وحده الكائن دائماً مع الآب وممتلىء به ، وأنه هو نفسه صادر عن الآب .]

[الاتهام الذى نسبوه إلىّ زائف ، أعنى اننى انكرت أن المسيح واحد فى الجوهر مع الآب . فإننى أقدم برهانا بأننى لم اجد كلمة « هوموسيون ὁμοούσιον . ولا قرأت عنها فى الكتب المقدسة ، إلا أن ما أوردته من براهين لاحقة التى قد احتوها ، لا تتعارض مع معنى هذه الكلمات .]

[وُلدت الحياة من الحياة ، وفاضت كنهر من نبع ، ويُشعل نور من نور لا يُطفى بهاءه .]

[لم يوجد زمن ما فيه لم يكن الله هو آب ... الله على أى الأحوال هو نور سرمدى بلا بداية ولا نهاية ، ومن ثم فالبهاء أمامه سرمدى كائن معه ، بلا بداية ، ولادته دائمة ، مشرقة فى حضرته[٣٠] .]

٧ـ القديس الكسندر الاسكندرى[٣١]

بالرغم من اتهام أريوس له بالسابليانية لأنه مصر على وحدة الثالوث ، واضح

أنه قد أدرك « الكلمة » أقنوماً متمايزاً عن « الآب » . اتهمه مقاوموه أنه يعلم بأن الابن كالآب unorginate (بلا مصدر) ، لكنه في الواقع علّم بأن الابن صادر عن كيان الآب ، شريك معه في السرمدية ، لأن الآب لا يكون قط بدون كلمته وحكمته وقوته وصورته ، ويلزم أن يكون الآب أباً على الدوام .

٨ـ القديس أثناسيوس

دافع القديس أثناسيوس عن الإيمان الأرثوذكسي بالثالوث القدوس ضد الأريوسية . فقد أوضح إيمان الكنيسة الخاص ببساطة الله بكونه لا يتعارض مع إيمانها بالثالوث القدوس ؛ وفي نفس الوقت اعتمد على الفكر الخلاصي (السوتيريولوجي soteriological) في دفاعه عن لاهوت الابن ولاهوت الروح القدس .

لقد أوضح دور التعليم بالثالوث القدوس في حياة الكنيسة ، قائلاً : [اللاهوت كامل في الثالوث . هذا هو الدرع الحقيقي الوحيد ؛ هذا هو الحق والصلاح . إنه الإيمان الذي أعطاه الرب نفسه ، وكرز به الرسل ، وحفظه الآباء . هذا هو الإيمان الذي يُنبت عليه الكنيسة . التدبير الثالوثي ، الأقانيم الثلاثة في توافق تام : الآب يخلص ، والابن يخلص ، والروح القدس يخلص . هذه الوحدة لا تقوم على معرفة كينونة الله بل على معرفة عمل الثالوث الخلاصي الواحد(٣٢) .]

(أ) بساطة الله

يؤكد القديس أثناسيوس أن الله بسيط ، غير مركب ، طبيعته غير معقدة . في بساطة هو واحد وإن كان في ثلاثة ؛ له نعمة واحدة ، وحدة في طاقته وأعمال . [نعترف بالله الواحد في ثالوث(٣٣) .]

[يوجد لاهوت واحد للثالوث القدوس ، وإيمان واحد بالثالوث القدوس ... لو كان الروح القدس مخلوقاً لما حُسب من الثالوث ؛ لأن الثالوث كله إله واحد . ليس شيء غريباً يختلط في الثالوث . إنه لا يتجزأ ، له ذات الطبيعة(٣٤) .]

[يحقق الآب كل شيء بالكلمة في الروح القدس(٣٥) .]

[توجد نعمة واحدة تتحقق من الآب بالابن في الروح القدس(٣٦) .]

[مثل هذا الاتفاق المشترك العجيب والوحدة فى الروح القدس ؛ من يفصل الابن عن الآب ، والروح القدس عن الابن أو عن الآب نفسه ؟ من يجسر أن يقول إن الثالوث « غير متجانس » داخلياً أو غير متماثل ؟ أو يتحدث عن الابن كجوهر غريب عن الآب ، أو عن الروح كغريب عن الابن ؟ لكن إن سأل أحد : كيف يحدث هذا ؟ وكيف يُقال عن الابن إنه فينا عندما يكون الروح فينا ، أو الآب عندما يكون الابن فينا ؛ أو كيف يُعنى الثالوث كله عندما يُشار إلى أقنوم واحد ؛ أو يُقال عن (الثالوث كله) انه فينا حين يُقال إن اقنوماً واحداً فينا . إن قدم أحد مثل هذه الأسئلة ، فليفصل البهاء عن النور ، أو الحكمة عن الحكيم ، أو يوضح لنا كيف يمكن أن يحدث هذا . فإن كان لا يستطيع هذا ، يكون أكثر جنوناً أن نفترض تقديم تساؤلات مثل هذه بخصوص الله ، لأن (الحق الخاص) باللاهوت لا يُعطى باستعراض مجادلات ، كما جاء فى ١ كو ١ : ١٧ ؛ ٢ : ٤ ، بل بالإيمان مع استخدام العقل بحذر ووقار ...

مع هذا فإنه يمكن معالجة مثل هذا الارتباك بالاعتماد على الإيمان أولاً وبطريقة أساسية ؛ بعد ذلك تستخدم مثل تلك التشبيهات : الصورة والبهاء ومصدر النهر ... فكما أن الابن فى الروح كما فى صورته الذاتية ، هكذا الآب فى الابن . وقد أمدتنا الكتب المقدسة بمثل تلك المقارنات ... لكى نؤمن أنه توجد قداسة واحدة هى من الآب بالابن فى الروح القدس[٣٧] ...]

[حيث يوجد الآب يكون الابن ، وحيث يوجد النور يكون البهاء ، « كل ما يفعله الآب أفعله أنا أيضاً » يو ٥ : ١٩ . هكذا أيضاً عند منح المعمودية من يعمده الآب يعمده الابن أيضاً ، ومن يعمده الابن فهو مقدس فى الروح القدس .

وأيضاً عندما تشرق الشمس يُقال إن الشعاع ينير ، لأن النور واحد لا يتجزأ ولا ينقسم . هكذا الآب حيث يُوجد أو يُسمى واضح انه هكذا يوجد الابن أو يُسمى . هل يُدعى الآب فى المعمودية ؟ لذا يجب أن يُدعى الابن معه[٣٨] .]

(ب) الابن الأزلى

[إن كان يدعى المولود من الآب أزلياً ، فإنه يُدعى هكذا بحق . لأن جوهر الآب لم يكن قط غير كامل ، بحيث أن ما يخصه يضاف إليه فيما بعد ، ولا وُلد الابن

كإنسان من إنسان فيكون وجوده متأخراً عن الآب ، بل هو ابن الله ، وكابن لائق به موجود أزلياً على الدوام . فإن كان يليق بالبشر أن يلدوا فى زمن عن عدم كمال طبيعتهم أما ابن الله فأزلى لأن طبيعته دائماً كاملة[٣٩] .]

[لأن الآب أزلى ، فبهاؤه أيضاً أزلى ، الذى هو كلمته .

مرة أخرى الله الكائن ، له كلمته الصادر عنه هو أيضاً كائن ؛ والكلمة لم يُضف إلى الله كما لو كان قبلاً غير موجود ، ولا وُجد الله قط بدون العقل[٤٠] .]

٩ـ آباء آخرون

سبق أن ناقشت لاهوت القديسين كيرلس وديسقورس فى كتاب : « المصطلحان اللاهوتيان : طبيعة (فيزيس) واقنوم (هيبوستاسز) فى الكنيسة الأولى » .

أما عن آباء العصور الوسطى فأود أن اقدم لاهوتهم فى كتاب مستقل .

+ + +

ألوهية السيد المسيح
فى
الكتاب المقدس

يعلن الكتاب المقدس فى كل أجزائه عن لاهوت السيد المسيح ، بطرق متنوعة ، كى نقبله مخلصاً قديراً ، يهبنا خبرة الخلاص من الدينونة والفساد والموت والشيطان الخ ...

١ــ إنه الرب

يعلن إشعياء النبى انه يوجد رب واحد (٤٥ : ٥ ، ٢١ ، ٢٢) ؛ ويؤكد أن السيد المسيح هو الرب (٩ : ٦) .

ومن الواضح أن لقب « الرب » يُستخدم للإعلان عن ألوهية السيد المسيح ، وهو يُدعى « رب المجد » ١ كو ٢ : ٨ ؛ « رب الأرباب » رؤ ١٩ : ١٦ ؛ ١٧ : ١٤ ، « رب السبت » مت ١٢ : ٨ الخ ...

استخدم يسوع المسيح هذا المعنى فى مناقشاته مع اليهود (مت ٧ : ٢١ ؛ لو ٦ : ٤٦) ، وسيستخدم البشر ذات اللقب فى الحديث معه فى اليوم الأخير (مت ٧ : ٢٢ ، ٢٣ ؛ مت ٢٥ : ٣٧ ، ٤٤ ؛ لو ١٣ : ٢٥) .

اكتفى هنا باختيار لقبين فقط :

(أ) **رب السبت** : هذا اللقب يعنى انه واضع الناموس ، وانه هو الذى سَّن شريعة السبت أحد الوصايا الإلهية الهامة ، لذا ينسب الله السبت إليه (تك ٢ : ١ــ٣ ؛ خر ٢٠ : ٨ــ١١ ؛ ٣١ : ١٣ ؛ لا ١٩ : ٣ ، ١٣ ، ٢٦ : ٢) .

(ب) رب داود[٢] : ليس عجيباً أن اليهود وبعض الأمم، وجماعات وأفراد، بسطاء ومتعلمين، عندما اكتشفوا أن يسوع هو المسيح لقبوه «ابن داود» مت ٩: ٢٧؛ ١٢: ١٣؛ ١٥: ٢٢؛ ٢٠: ٣٠؛ ٢١: ١٩. ذلك لأن داود كان الملك الأول الذى اختاره الله ليحكم شعبه، وقد نال وعداً عظيماً: «ومملكتك إلى الأبد أمامك» ٢ صم ٧: ١٦. وقد ترجى الأنبياء ــعبر العصور المظلمةــ قيام مملكة

ابن داود المسيانية (إش ٩: ٧؛ ١١ : ١؛ أر ٢٣: ٥؛ ٣٠: ٩؛ ٣٣: ١٧؛ حز ٣٤: ٢٣، ٢٤، ٣٧: ٢٤؛ عا ٩: ١١؛ زك ١٢: ٨؛ هو ٣: ٥ الخ...). وفى سفر الرؤيا (٥: ٥) يُدعى الرب القائم من الأموات «الأسد» الخارج من سبط يهوذا، أصل داود. وعندما سأل يسوع المسيح قادة اليهود المتعلمين، الفريسيين، عن المسيح، أجابوه بأنه ابن داود (مت ٢٢: ٤١ـــ٤٥؛ مر ١٢: ٣٥ـــ٣٧؛ لو ٢٠: ٤١ـــ٤٤)، لكنه أربكهم عندما وجه نظرهم إلى المزمور ١١٠: ١ الذى يعتبره الكل خاصا بالسيد المسيح، حيث يدعو داود نفسه المسيح رباً له. وقد أعلن الرب عن ألوهيته عندما سألهم: «فإن كان داود يدعوه رباً، فكيف يكون ابنه؟!» (مت ٢٢: ٤٥).

٢ـــ أنه الله

« فأجاب توما وقال : « ربى وإلهى » ، فقال له يسوع : « لأنك رأيتنى يا توما آمنت » يو ٢٠ : ٢٨ ، ٢٩ .

« ولكن للابن يقول : كرسيك يا الله إلى دهر الدهور »

« ببِّر إلهنا والمخلص يسوع المسيح » ٢ بط ١ : ١ .

« هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية » ١ يو ٥ : ٢٠ .

« وقد جاء المسيح الكائن على الكل إلهاً مباركاً » رؤ ٩ : ٥ .

« فإن فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً » كو ٢ : ٩ .

« منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح » تى ٢ : ١٣ .

« لترعوا كنيسة الله التى افتداها بدمه » أع ٢٠ : ٢٨ .

« الذى إذ كان فى صورة الله لم يُحسب خلسة أن يكون معادلاً لله... صائراً فى شبه الناس» فى ٢: ٦. هنا نلاحظ انه فى اليونانية استخدم القديس بولس كلمة morphé والتى تُرجمت «صورة» وكلمة schêmata التى تُرجمت «شبه» (مظهر). الأولى تعنى الطبيعة الأساسية الأصلية الغير متغيرة لجوهر شخصى أو شيء؛ والثانية تعنى الهيئة الخارجية المتغيرة وغير الثابتة لشخص أو لشيء ما. فمثلا للرجل دائماً "morphe" غير متغيرة وهى «الناسوت»، ولكنه يستطيع أن يكون له «ظهور» أى مظهر خارجى يختلف فى مراحل الطفولة والصبا والشباب والرجولة

والكهولة. ويقول القديس بولس كان يسوع فى «صورة» الله، وهذا ما يقال أن الطبيعة الجوهرية ليسوع هى نفس الطبيعة الجوهرية للآب[٣].

٣ــ يسوع المسيح هو كلمة (لوغوس) الله المتجسد

(يو ١ : ١ ؛ ١ يو ٥ : ٧ ؛ رؤ ١٩ : ١٣) . بالنسبة لليهود ، فإن اللوغوس أو كلمة الله ليس فقط « صوتاً » أو « كلمات » يُنْطق بها ، بل هو شخص كان يمشى فى جنة عدن (تك ٣ : ٨) خالق السموات (مز ٣٣ : ٦ ، ٩) . هو قوة الله الخالقة الديناميكية ، فى حالة عمل دائم (إش ٥٥ : ١١ ، أر ٢٣ : ٢٩) . وبالنسبة لليونانيين « فاللوغوس » كلمة فلسفية تعنى العقل الناطق لله أو نطقه العاقل الذى لا ينفصل قط عن جوهره .

٤ــ له خصائص الله ويقوم بأعمال الله[٤]

يقول « كل ما للآب فهو لى » يو ١٦ : ١٥ ، « وكل ما هو لى فهو لك وما هوْ لك فهو لى » يو ١٧ : ١٠ . ولكن ما هى « كل الأشياء التى للآب » والتى ينسبها ربنا يسوع لنفسه سوى الخصائص الإلهية والقدرات والكمال الإلهى ؟ وقد إتهمه اليهود بالتجديف لأنه حعل نفسه مساوياً لله (يو ٥ : ١٨ ؛ ١٠ : ٣٠ــ٣٣) ، ولكنه يعلن تلك المساواة حتى عندما يخاطب الآب يو ١٧ : ١٠ .

أقدم الآن بعض الأمثلة عن الخصائص والأعمال الإلهية :

(أ) الواحد الأزلى

مكتوب «من الأزل إلى الأبد أنت الله» مز ٩٠ : ٢ (أنظر أر ١٠ : ١٠؛ حب ١ : ١٢). وقد نسب ربنا يسوع المسيح الأزلية لنفسه عندما قال لليهود: «قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن» يو ٨ : ٥٨، ولذلك أرادوا أن يرجموه. ويقول ميخا: «ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل» ٥ : ٢، (أنظر أيضا يو ١٧ : ٥، ٢٤).

(ب) الأول والآخر

فى سفر إشعياء يُظهر الله نفسه أنه الأول والآخر (٤١ : ١ ؛ ٤٤ : ٦ ؛ ٤ : ١٢) ، وفى سفر الرؤيا يفعل يسوع نفس الشيء (رؤ ١ : ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٧ ؛ ٢٢ : ١٢ــ١٦) . إنه الأول والآخر ، البداية والنهاية ، الألف والياء ، لأنه أزلى لم

يكن وجود قبله ولا نهاية بعده ، فهو الألف والياء ولا ينقصه شيء ، لأنه كامل كُلِّي القدرة وكُلِّي القداسة وكُلِّي العلم وكُلِّي الحكمة وكُلِّي الصلاح الخ ...

(جـ) الواحد الذى لا يتغير

الله هو الواحد الذى لا يتغير (يع ١ : ١٧) ، ويُعبِّر القديس بولس عن ذلك فيقول : « يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد » عب ١٣ : ٨ . وفى سفر الرؤيا مكتوب : « هو الكائن والذى كان والذى يأتى » رؤ ١ : ٤ ، ٨ ؛ ١١ : ٦ ؛ ١٦ : ٥ .

(د) موجود فى كل مكان

« لأنه حيثما إجتمع إثنان أو ثلاثة بإسمى فهناك أكون فى وسطهم » مت ١٨ : ٢٠ .

« ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء ابن الانسان الذى هو فى السماء » يو ٣ : ١٣ .

« إن أحبنى أحد يحفظ كلامى ويحبه أبى وإليه نأتى وعنده نصنع منزلاً » يو ١٤ : ٢٣ .

« المسيح يحيا فىَّ » غلا ٢ : ٢٠ .

« هأنذا واقف على الباب وأقرع ؛ إن سمع أحد صوتى وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهو معى » رؤ ٣ : ٢٠ .

(هـ) القادر على كل شيء

الله هو الوحيد القادر على كل شيء (تك ٦ : ٣؛ ٤٨ : ٣؛ ٢ كو ٦ : ١٨). وقد دعا ربنا يسوع نفسه القادر على كل شيء (رؤ ١ : ١، ٨) (أنظر أيضا ٢ بط ١ : ١، ٣؛ يه ٢٤، ٢٥؛ فيلبى ٣ : ٢٠، ٢١؛ رؤ ٤ : ٨؛ ١١ : ٦؛ ١٥ : ٣؛ ١٦ : ٧، ١٤؛ ١٩ : ٦، ١٥؛ ٢١ : ٢٢).

(و) الديـــان

يُسمى الله الديَّان (تك ١٨ : ٢٥؛ مز ٧ : ٩؛ ٤٩ : ٦؛ ٩٤ : ٢؛ رو ٣ : ٦،

١٤ ، ١٢ ؛ عب ١٢ : ٢٣). ويُظهر ربنا نفسه أنه الديان (مت ١٦ : ٢٧؛ ٢٥ : ٣١—٤٦ ؛ ١٣ : ٢٦، ٢٧، ٤١، ٤٢؛ رؤ ٢٢ : ١٢—١٦.

(ز) فاحص القلوب والافكار

عند تدشين الهيكل صلى سليمان إلى الله الذى وحده يعرف قلوب البشر (١ مل ٨ : ٣٩) ؛ يصفه فى كل موضع كمختبر القلوب (أم ١٧ : ٣) ووازنها (أنظر أيضاً مز ٧ : ٩ ؛ أر ١١ : ٢٠ ؛ ١٧ : ٩ ، ١٠ ؛ ١ تس ٢ : ٤) .

يقول يسوع المسيح : « فستعرف جميع الكنائس إنى أنا هو الفاحص الكلى والقلوب ، وسأعطى كل واحد منكم بحسب أعماله » رؤ ٢ : ٢٣ . فى الواقع عندما كان على الأرض حسب الجسد كان يعرف أفكار البشر (مت ٩ : ٣, ٤ ؛ ١٢ : ٢٤ ، ٢٥ ؛ مر ١١ : ١٦ ، ١٧ ؛ لو ٥ : ٢١ ، ٢٢ ؛ ٧ : ٣٩ ، ٤٠ ؛ ٩ : ٤٦ ، ٤٧ ؛ ١١ : ١٧ ؛ يو ١٦ : ٧ ، ٨ الخ ...)

(ح) وحده بلا لوم وقدوس

كل البشر — حتى القديسون — خطاة (مز ١٠٣ : ٣ ؛ ٥٣ : ٣ ؛ رو ٣ : ١٢ ؛ يو ١ : ٨ ؛ ١ تى ١ : ١٥) ؛ الله وحده الصالح (مت ١٩ : ١٧) ، القدوس (رؤ ١٥ : ٣٤) ، يُسبح له السيرافيم ، قائلين : « قدوس ، قدوس ، قدوس » إش ٦ : ٣ . وقد قيل عن السيد المسيح انه القدوس (لو ١ : ٣٥ ؛ أع ١٣ : ١٤ ؛ عب ٧ : ٢٦ ؛ أع ٤ : ٣٠ ؛ رؤ ٣ : ٧ ؛ يو ٨ : ٤٦ ؛ ١٤ : ٣٠ ؛ عب ٤ : ١٥ ؛ ٢ كو ٥ : ٢١ ؛ ١ بط ٢ : ٢٢) .

(ط) غافر الخطايا

الله هو غافر الخطايا (مز ١٠٣ : ١، ٣؛ ١٣٠ : ٣، ٤، خر ٣٤ : ٦، ٧؛ مر ٢ : ٧)، لهذا عندما غفر الرب خطايا قال اليهود: «لماذا يتكلم هذا هكذا بتجاديف؟ من يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله وحده؟!» مر ٢ : ٧. أما هو فأكد أنه يغفر الخطايا، وأعطى تلاميذه ورسله السلطان ليغفروا الخطايا بروحه القدوس (يو ٢٠ : ٢٢). كما فتح الفردوس للخطاة التائبين (يو ٢٠ : ٢٢).

(ى) قابل العبادة

انه يقبل العبادة التى لا يجوز تقديمها إلا لله وحده (مت ٧ : ٢٢ ؛ فى ٢ : ١٠ ، ١١ ؛ رؤ ١٥ : ٤) ؛ حتى فى صلواتنا المقدمة للآب يجب تقديمها باسم يسوع (يو ١٦ : ٢٣ ، ٢٤ ؛ ١٤ : ١٣ ، ١٤) .

(ك) هو الحياة وواهب الحياة

الله موجود بذاته ، يهب الحياة لخلائقه ، إذ يقول : « كما انى حىّ يقول رب الجنود » صف ٢ : ٩ ؛ وربنا يسوع هو الحياة (يو ٧ : ١١—١٧) ، وتحت سلطانه (يو ٥ : ٢١ ؛ ٦ : ٥٤ ؛ ١٠ : ٢٧ ، ٢٨) . إنه خبز الحياة (يو ٦ : ٣٥ ، ٤١ ، ٤٨ ، ٥١) ؛ وهو القيامة (يو ١٥ : ٢٥) .

(ل) الخالق

(يو ١ : ٣ ؛ عب ١ : ١ ؛ كو ١ : ١٥ ، ١٦ ، ١ كو ٨ : ٦) .
انه الخالق الذى حوّل الماء خمراً (يو ٢) وفتح عينّى المولود أعمى (يو ٩ : ٣٢) .

٥ــ ارساله الروح القدس ، روح الله

أنظر يوئيل ٢ : ٢٧ ، ٢٩ ؛ خر ٣٩ : ٢٩ ؛ أع ٢ : ٣٣ ، يو ١٥ : ٢٦ ؛ ١٦ : ٧ ، ٢٠ : ٢٢ .

٦ــ علاقته بالروح القدس

وُلد بالروح القدس من العذراء (مت ١ : ١٨ ؛ إش ٧ : ١٤) . وقد قال إن الروح القدس يأخذ مما له ويخبرنا ، وان كل ما للآب فهو له أيضاً (يو ١٦ : ١٤ ، ١٥) .

٧ــ نزوله من السماء

أنظر يو ٦ : ٣٣ ، ٣٨ ، ٤١ ؛ ١٦ : ٢٧ ، ٢٨ ؛ ٣ : ٣ .

إنه ليس فقط يسكن فى السموات بل وله سلطان عليها (أع ٧ : ٥٩ ؛ لو ٢٣ : ٤٣ ؛ مت ١٦ : ١٩ ؛ هناك تتعبد له المخلوقات السماوية (فى ٢ : ٩) ؛ وهو أعلى من السموات (عب ٧ : ٥٦) .

٨ــ ابن الله

بنوته للآب فريدة ، لذا يُدعى ابن الله الوحيد (يو ١ : ١٨ ؛ ٣ : ١٦ ؛ ١ يو ٤ : ٩) . تتميز بنوته عن بنوتنا نحن لله (تك ٦ : ٢ ؛ مز ٢٩ : ١ ، ٢ ؛ خر ٤ : ٢٢ ؛ مت ٥ : ٩) ؛ وهى بنوة أزلية (عب ١ : ٥ ؛ مز ٢) ، أعلنها الآب نفسه عندما انفتحت السماء عند عماده (مت ٣ : ١٧ ؛ لو ٣ : ٢٢) ؛ وعندما تغيرت هيئته (مز ٩ : ٢ــ٧) . غاية العهد الجديد هو أن نؤمن بهذه البنوة (يو ٢٠ : ٣٠ ، ٣١) ويُحسب هذا الإيمان الصخرة التى عليها بُنيت الكنيسة (مت ١٦ : ١٣ــ١٨) .

فهم مجمع السنهدريم هذه البنوة أنها تعنى مساواته للآب لهذا اعتبروها تجديفاً (مت ٢٦ : ٦٣ــ٦٥) . وكان الشيطان فى حيرة بسبب هذه البنوة (مت ٤ : ٣ ؛ ٢٧ : ٤) .

تنبأ عنها العهد القديم (أم ٣٠ : ٤) ؛ وبشر بها الملاك جبرائيل (لو ١ : ٣٥) ، واكتشفها التلاميذ عندما قام السيد المسيح بأعمال إلهية كأن جعل القديس بطرس يمشى على الماء (مت ١٤ : ١٥ــ٣٣) ، كما اعترف بها الأعمى (يو ٩ : ٣٥ــ٣٨) وقائد المئة عند الجلجثة (مت ٢٧ : ٥٤) .

أُستخدم تعبير «الابن» بخصوص السيد المسيح وحده (يو ٨: ٣٦، ١ يو ٥: ١٢؛ ٤: ١٤)، وعندما يجتمع مع التعبيرين: «الآب» و«الروح القدس» فان الثلاثة معاً يعبرون عن الله الواحد، إذ يقول يسوع المسيح: «باسم...» ولم يقل «باسماء الآب والابن والروح القدس» (مت ٢٨: ١٩).

٩ــ الإيمان بـه

كما أن الله الآب هو مركز إيماننا هكذا يسوع المسيح (يو ١٤ : ١ ؛ أع ١٠ : ٤٣ ؛ ١٣ : ٣٨ ، ٣٩) . بالإيمان به نتمتع بالخلاص والحياة الأبدية (يو ٣ : ١٦ ؛ ١١ : ٢٥ ، ٢٦ ؛ مر ١٦ : ١٦ ، أع ٢ : ٣٨) ؛ وبدون الإيمان به نهلك فى خطايانا (يو ٨ : ٤٢) .

يجب أن نؤمن بابن الله (يو ٢٠ : ٣١) ، ابن الله الوحيد (يو ٣ : ١٦ ، ١٨) ، وانه فى الآب والآب فيه (يو ١٤ : ١٠ ، ١١) ، من يراه يرى الآب

(يو ١٤ : ٩) ، له الحياة فى ذاته (يو ١ : ٤) ، وهو مخلص العالم كله (يو ٥ : ١٤) ، كفارة عن خطايانا (١ يو ٢ : ٢) .

١٠ــ انه المخلص

الله نفسه هو المخلص والفادى (مز ٤٩ : ٧، ١٥؛ مز ١٠٣: ١ــ٤؛ إش ٤٤ : ٦؛ ٤٥ : ٢١؛ ٤٧ : ٤؛ ٤٨ : ١٧؛ ٤١ : ١٣، ١٤؛ لو ١ : ٤٦؛ تى ٢ : ١٠؛ ٣: ٤؛ هو ١٣ : ٤).

يسوع المسيح هو المخلص (مت ١ : ٢١؛ يو ١٢ : ٤٤؛ مت ١٨ : ١١؛ ١ تى ١ : ١٥، تى ٢ : ١٤؛ غلا ٢ : ١٣؛ عب ٥ : ١٩؛ ٢ : ٣؛ أع ٤ : ١٢.

هو المخلص الوحيد الذى قدم ذاته ذبيحة قادرة على كل شىء ، « وهو كفارة لخطايانا ، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً » ١ يو ٢ : ٢ .

١١ــ علاقته مع الآب

تعلن علاقته مع الآب عن ألوهيته ، لأنه يُدعى حكمة الله وقدرته (١ كو ٢٣ : ٢٤) ، كما أعلن مراراً عن وحدته معه (يو ١٠ : ٣٠ ؛ ١٧ : ١١ ؛ ١٤ : ١٠ ؛ ١٧ : ١٠ ؛ ١٦ : ١٥) . وبسبب هذا أراد اليهود أن يرجموه كمجدف (يو ١٠ : ٣١ــ٣٣) .

١٢ــ سلطانه المطلق

(أ) على الطبيعة : أمر البحر والريح أن يسكنا فأطاعاه (مر ٤ : ٣٧ــ٤١) . لم يمش فقط على الماء وإنما سمح لبطرس أيضاً أن يفعل ذلك على كلمته (مت ١٤ : ٢٥ــ٣٢) ، وعند صلبه أعلنت الطبيعة عن غضبها (مت ٢٧ : ٥١) ، فغطى الظلام الأرض لمدة ثلاث ساعات (مر ١٥ : ٣٣) . دخل العلية والأبواب مغلقة (يو ٢٠ : ١٩) وذلك بسلطانه . على خلاف نواميس الطبيعة صعد إلى السموات (يو ٣ : ١٣ ؛ أع ١ : ٩) .

(ب) على الملائكة : فهو أعظم من الملائكة (عب ١ : ٤) ؛ هؤلاء الذين يتعبدون له (عب ١ : ٦ ؛ فى ٢ : ١٠ ؛ رؤ ٥ : ٨ ؛ ١ بط ٣ : ٢١ ،

٢٢) ، وسيرسلهم فى مجيئه الأخير (مت ١٣ : ٤١ ، ٢٣ ؛ ٢٤ : ٣٠ ، ٣١) بكونهم ملائكته .

(جـ) على الملكوت الإلهى ، بكونه ملكوته (مت ١٦ : ٢٨ ؛ ١٣ : ٤١ ، ٤٢ ؛ ٢ تى ٤ : ١ ؛ لو ٢٣ : ٤٣ ؛ دا ٧ : ١٤) .

(هـ) على الحياة والموت (يو ١١ : ٢٥ ، ٢٦ ؛ ١٤ : ٦ ؛ رؤ ١ : ١٨ ؛ يو ٨ : ٥١ ؛ ٥ : ٢١) .

(و) على الناموس (يو ١٣ : ٣٤ ؛ مت ٥ : ٢٢ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٤٤) . وقد دعى نفسه « رب السبت » ، يوم الرب (مت ١٢ : ١٨ ؛ مر ٢ : ٢٨ ؛ لو ٦ : ٥) .

(ز) على نفسه : أن يموت وأن يقوم (يو ١٠ : ١٧ ، ١٨) .

(ح) على الشياطين : (مر ١ : ٢٢ــ٢٤ ؛ لو ٨ : ٢٨ ، ٢٩ ؛ مت ٨ : ٢٨) . أعطى تلاميذه ورسله سلطاناً عليهم باسمه (لو ١٠ : ١١ ، ١٧ ؛ مر ١٦ : ١٧ ؛ أع ١٦ : ١٨) .

(ط) على المجد الأبدى بكونه مجده (مت ٢٥ : ٣١ ، ٣٢ ؛ مت ١٦ : ٢٧ ؛ لو ٩ : ٢٦) ؛ إنه يجلس على العرش الإلهى (رؤ ٧ : ١٧) .

(ى) فى إتمام معجزات بلا حصر (يو ٢٠ : ٣٠ ؛ ٢١ : ٢٥ ؛ لو ٤ : ٤٠ ؛ مت ٤ : ٢٣ ، ٢٤) . وقد تمت جميعها بناء على أمره (مر ٢ : ٩ ؛ لو ٦ : ١٠ ؛ مر ٥ : ٤١ ، ٤٢ ؛ يو ١١ : ٤٣ ، ٤٤) ؛ أو بلمسه المرضى (لو ٤ : ٢٠ ؛ ٢٢ : ٥١ ؛ مت ٣٠ : ٣٤ ، مر ٨ : ٢٥) ، أو بمجرد إرادته أن تتم (مر ١ : ٤١ ؛ يو ٢ : ٧ ، ٩) ، دون صلاة .

قام تلاميذه ورسله بعمل المعجزات لكن باسمه (فى ٤ : ١٣ ؛ مت ١٠ : ١ ، ٨ ، ١٩) .

هدفه من صنع المعجزات أن يؤمن الناس به (يو ١٤ : ١١ ؛ ١٠ : ٣٧ ، ٣٨).

أخيراً فإن حياته نفسها كانت معجزة فريدة ، إذ ولد من عذراء (إش ٧ : ١٤) . لم يعلن الملائكة وحدهم عن ميلاده وإنما اشترك نجم غريب فى هذا الأمر

(مت ٢ : ٢ــ١٠) . وفى عماده انفتحت السماء وظهر الروح القدس ؛ وفى تجليه أُعلن مجده . اعلنت الطبيعة عن مجده حتى أثناء صلبه ، وفى اليوم الثالث قام والقبر مغلق . ظهر لتلاميذه والأبواب مغلقة ، وصعد إلى السموات ، حقاً ان تفاصيل حياته وأعماله قد سبق وأنبأ عنها الأنبياء بكل وضوح منذ مئات وآلاف السنين قبل مجيئه .

+ + +

للتوسع فى هذا الموضوع يمكن الرجوع لكتاب قداسة البابا شنودة الثالث :

« لاهوت المسيح »

خاتمــــة

واضح أن الخط الرئيسى فى اللاهوت المسيحى هو ان الله الذى نؤمن به هو ذاك الذى خلق الإنسان ليحتضنه كابن له ، واهباً إياه شركة مجده ليعيش معه أبدياً . لقد خلق الله الإنسان ، هذا المخلوق الحر العجيب ، ليرفعه إلى سمواته ولا يتركه منعزلاً على الأرض ، يهبه أسراره الإلهية لا كموضوع جدال وعقائد نظرية بل علامة انفتاح الله على الانسان ومصدر للحياة والقداسة !

+ + +

نرجو الرجوع إلى الملاحظات والمراجع فى النسخة الإنجليزية .

المحتويـــات

يطلب من :

كنيسة مارجرجس اسبورتنج - الإبراهيمية - الأسكندرية .

كنيسة مارمرقس والأنبا بطرس - سيدى بشر - الأسكندرية .

مكتبة مارمرقس بالأنبا رويس .

الثمن ٦٥ قرشاً

